كيفَ رُسِمَ المصحفُ؟

الطبعة الأولى

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٧٧٧/ ٣/ ٢٠١٠)

٢٢٥

ولويل، كامل جميل

كيف رُسم المصحفُ/ كامل جميل ولويل_ عمان: دار المأمون للنشر والتوزيع، ٢٠١٠.

(١٠٠) ص

ر.أ: (٧٧٧/ ٣/ ٢٠١٠).

الواصفات: ألفاظ القرآن//قواعد اللغة //القرآن الكريم/

- ❖ أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية
- ❖ يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.



العبدلي - عمارة جوهرة القدس
تلفاكس: ٤٦٤٥٧٥٧
ص.ب: ٩٢٧٨٠٢ عمان ١١١٩٠ الأردن
E- mail: daralmamoun@maktoob.com

كيف رسم المصحف؟

كامل جميل ولويل



دار المأمون للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

سبق ومبادرة

أقول كما قال الخليفة العباس الأول محمد بن علي بن عبدالله بن عباس: شكراً شكراً شكراً على عطاء الله، لقد مُنحتُ القدرة على البحث ومنحتُ الاهتمام بالبحوث من جهات كثيرة.

تسابق بعض الأهل على طبع هذا الكتاب (كيف رسم المصحف) وقد كان نصيب الدكتورة غادة هشام ولويل ثم ابنتي نجاة كامل ولويل أن تقوما بهذا العبء، أرادتا الإسهام في علم ينتفع به، أدعو الله تعالى لهما بالنضارة في الأولى والآخرة.

بين يدي الكتاب

د. مأمون فريز جرار

«كيف رسم المصحف» أو «الرسم العثماني» من الظواهر البارزة في تاريخنا الثقافي بل الديني. ذلك لأن القرآن الكريم ارتبط بهذا الرسم منذ جمع الخليفة ذو النورين عثمان رضي الله عنه، المسلمين عليه، ووحد كلمتهم.

وقد سار إلى جانب هذا الرسم ما عرف بالرسم الاصطلاحي الذي سعى إلى التوافق بين ما يكتب وما ينطق، وتعددت آراء العلماء في شأن كتابة القرآن الكريم بهذا الرسم. كما تعددت تعليلات العلماء لبعض المواضع التي استوقفتهم في الرسم العثماني. ورأوا فيها مخالفة لما تواضع عليه علماء الإملاء من بعد.

وبقي هذا الأمر موضع بحث لعلماء علوم القرآن وأهل اللغة كل يدلي بدلوه، ويسعى إلى تقديم تعليل له. ومن هؤلاء العلماء صديقنا العالم الدكتور كامل ولويل، صاحب العقل النابه الناقد، والمتطلع إلى المزيد من العلم، مع فضله وعلمه، ولذلك تجده حيثما جلس يسأل سؤال الباحث، ويستثير الرغبة في البحث لدى جليسه.

وقد أحسن في هذا الكتاب حين بحث قضية الإملاء القرآني وإملاء

العربية بعامة، ومضى يسرد أراء العلماء، ويرجح ويختار، واختيار المـرء جـزء من عقله، وكان منحازاً إلى الصحابة الكرام الذين كتبوا بعلـم لا عـن جهـل، حين دعاهم عثمان رضي الله عنه وعنهم إلى ذلك.

كتاب ممتع مفيد، يستثير العقل، ويدعو إلى التفكر والتدبر.

فزادك الله علماً يا أبا جميل، ونفع بعلمك، إنه هو العليم الحكيم.

لماذا شغلت بهذا البحث؟

أي الإملاء في القرآن؟

سأل أحد الأساتذة صديقه لماذا كُتبت كلمة (وجاءوا) في القرآن بدون ألف هكذا ﴿وَجَآءُو﴾، ولم يرق ذلك لصاحبه مستنكراً ما ذكر، وفتح المصحف فوجدها بدون ألف حقاً، وتساءلنا كثيراً عن كلمات مكتوبة برسوم غير التي تعلمناها في مدارسنا وألفناها مطبوعة في الكتب، وكثرت الأسئلة في مجالسنا ولاسيما في النقاط الإملائية القرآنية، فنحن فئات من المدرسين اعتادت التساؤلات في اللغة العربية، لماذا كتبت كلمة ﴿عَتَوْا﴾ بألف في بعض السور ومن دون ألف في سور أخرى؟ هل هناك أسباب تتعلق بالمعاني؟ هل (عتوْا) بالألف يختلف معناها من دون ألف؟ ونرى كلمة (طعام) بألف في سور ومن دون ألف في سور أخرى هكذا (طعم)، هل يتوقع القارئ اختلافاً بين (الطعام) الأولى (والطعام) الثانية، ومثل ذلك ما ورد في كلمة إبراهيم فقد كتبت أحياناً كثيرة من دون ياء أو ألف/ هكذا ﴿إِبْرَٰهِمَ﴾ في ثلاث آيات متتاليات وهي في البقرة: ١٢٤، ١٢٥، ثم في الآية ١٢٧. وأحياناً أخرى بالياء والألف: إبراهيم، وقال سليمان (عليه السلام) مهدداً الهدهد ﴿لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾ فقد زيدت فيها الألف، لماذا زيدت؟ ولماذا كُتبت الكلمات المشهورة الصلاة والزكاة والغداة والربا بواو بدل أن تكتب بالألف، فقد وردت في القرآن الكريم بهذه الصورة: ﴿ٱلصَّلَوٰةَ، ٱلزَّكَوٰةِ، بِٱلْغَدَوٰةِ، ٱلرِّبَوٰاْ﴾، لماذا كتبت على

غير ما هو متداول في الرسوم أو الكَتْبات التي اعتادها الناس؟.

كانت إجاباتنا ساذجة وسطحية، وهي أقرب إلى العاطفة والمشاعر منها إلى العقل والمنطق والفكر، وتنْفضُّ المجالس إثر المجالس ولا نصل إلى شيء، فوجدتُ هذا تحدياً فعزمتُ على الخوض فيه، قلتُ أبذل جهدي في شيء يتداوله المسلمون كثيراً، وربما يتداوله غير المسلمين أيضاً حباً في الاطلاع وحباً في معرفة هذا الكتاب الذي وصل إلى زوايا الأرض كلها، فيجدون مثل هذه الرسوم في الكتاب الكريم، ويتساءلون عن سبب الكتابة فيتهمون الصحابة بالضعف والعجز والإقلال؛ لأنهم كانوا أقرب إلى البداوة، وإنّي أستغفر الله من كل هذا، فالصحابة أتقنوا القرآن شفوياً وتحريرياً، وكتبوه بما يتلاءم مع قول الله تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾، هل يصلح أن تُعطى أمانةً فتفسد فيها شيئاً؟ فلا الآيات ولا الكلمات ولا نطق الآيات ولا نطق الكلمات نقص في شيء، لقد حُفظ، إنها الأمانة تماماً، ولما جاء دور الكتابة حفظت أيضاً لكي تُؤَدي ما حُفظ، إنها أشياء مقدسة، حفظت بدقة متناهية، وهذا البحث شامل لكل هذا مع أسبابه ودواعيه.

وتساءلنا كثيراً عن كلمات مكتوبة برسوم غير التي تعلمناها في مدارسنا وألفناها مطبوعة في الكتب، ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ [البقرة:١٢٤- ١٢٥] ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة:١٢٧].

اللسان العربي وما أدراك ما هو؟

نزل كتاب الله جَلَّ وعلا باللسان العربي، وليس علينا من حرج أن نتصور طبيعة هذه اللغة التي استوعبت آيات القرآن لفظها ومعانيها، وعظاتها وعبرها وأحكامها، كما استوعبت القصص القرآني عن الرسل السابقين منذ آدم (عليه السلام) إلى عهد خاتم النبيين، ولقد استوعبت آيات الكون منذ أن خلق سبحانه الأرض، وأنبأنا أن الليل والنهار مسخران للإنسان، وأنه جلت قدرته سخر ما في الأرض من نبات وحيوان وأمطار وشمس وقمر لهذا الإنسان، ثم جرتْ الآيات الكريمة تبين مسيرة كتاب الله بين الناس، وتبين الإيمان والكفر، وسبيل الدعوة وأحكامها الشرعية لضبط حياة الإنسان، إنّ ما ورد في كتاب الله يفوق التصور، للمؤمن وغير المؤمن، وليس علينا من حرج أن نتصور قدرة هذه اللغة الشريفة التي تضمنت كل هذا الفكر الهائل ووضعته في تراكيب ممتازة ولفظ مختار، ثم في سور معجزة، ولكل سورة نغمها الخاص بها، وأسلوبها المميز، ونظمها الفذ، قال سبحانه ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٣- ٢٤].

استوعب اللسان العربي الرسالةَ الإلهيةَ الأخيرة، كان الاستيعاب شاملاً ووافياً، هناك معانٍ قصصية تصف الرسل وما تحملوه من مشقات، لم تكن

مشقة موسى في مجابهة فرعون بسيطة وسهلة، فحالما قابله رماه بالصفات المهينة، يقول له يا ألثغ، يا من ربيناك وجئت تغدرنا، يا من تعاطيت السحر لتكذب علينا، هل لك إله غيري، إنها ساعات عصيبة، وعلى الرسول أن يتحملها، وقد صيغت هذه المواقف بصيغ سهلة ولكنها معبرة، تجذبك إليها وتجعلك تقف مع المشهد كأنَّكَ جزء منه، ولا تمل من مشاركتك هذه في هذا المشهد، قال سبحانه في سورة القصص ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٖ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّفۡتَرٗى وَمَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ٣٦ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ مِنۡ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، وقال سبحانه في سورة (طه): ﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ٢٤ قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ٢٦ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ٢٨ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ٣٢ ....﴾ ثم وقع المجلس الذي تخوف منه موسى، كان فرعون وملؤه يريدون قتل موسى، فلهم عليه ذنب، قال سبحانه يعزز موقف موسى ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ٤٥ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ٤٦﴾، إنّ القرآن يجذبك مهما ادعيتَ من الفصاحة وحسن البيان، ومعانيه في هذه المواقف لا تحتاج إلى فتح المعجم لتدري ما معنى هذه الكلمة أو تلك، ولا لتقف على أطلال هذه العبارة أو تلك، إنها عبارات عطف على موسى وأخيه، وطمأنة للأخوين الرسولين، إنها أنغام سهلة سلسة، ولكنك في مواقف أخرى مع المشركين تشعر بالشدة وتحس بالخوف، وتتمنى ألا تكون مع أولئك المشمولين بتلك

التهديدات وذلك الوعيد، ووعيد الله لا تستطيع أن تهرب منه، قال سبحانه في سورة (القيامة) ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ ﴿٣٠﴾﴾، إنّ مثل هذه المواقف الرهيبة المرعبة تجعل من لديه قلب يبحث عن الحق والحقيقة، يريد أن ينجو بنفسه من هذه المواقف، لأنها فوق طاقة الإنسان.

ولكنك تحتاج إلى اللغة وإلى المعاجم وإلى النحو عندما تقرأ آيات أخرى، وإن هذه حكمة الله في أرضه وخلقه، هذه الآيات تتعلق بأحكام تريد تنفيذها في معاملات الناس أو عباداتهم أو أخلاقهم، فتراك تجتهد لتعمل بما قرأتَ، وغيرك يجتهد، تريد أن تصل إلى الحق والعلم النافع، هنا تتعدد الآراء، وليس من تنوعها بد، فقد أراد الله تعالى لها ذلك، اقرأ إن شئت الآيات الثلاثة التالية من سورة هود ﴿يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ فَمِنۡهُمۡ شَقِيّٞ وَسَعِيدٞ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ ﴿١٠٨﴾﴾ [هود:١٠٥- ١٠٨] والسؤال متى يخرج أهل النار من النار؟ هل السموات والأرض هي المعيار؟ إن كان ذلك نعم فإن القياس نفسه يقع على أهل الجنة، هنا يبدأ البحث، إن هذه أحكام عن المستقبل، فكيف تتعامل مع فهمها وإدراكها؟ ومن مثل ذلك ما ورد في سورة الذاريات، إذ نحاول أن نفهم الآية ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابٗا دُونَ

ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ فتقول ما العذاب الذي دون ذلك؟ ومتى سيكون هذا العذاب؟ هل هو القتل والأسر والمرض والضعف والفقر أم هو عذاب القبر؟ إن العقل يقبل كل هذه الأشياء، وعلى القارئ لكتاب الله أن يبحث ويعرف المعنى، ولا نريد الإطالة، ولكني أميل إلى ذكر هذه الآية التي توقفتُ عندها لإدراك معناها، قال سبحانه ﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآ أَنَّهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ﴾ [الأنبياء:٩٥]، إن فيها بحثاً وآراء، بعض المؤَوّلين والمفسرين يقولون: إن هذه القرية التي ظلمت وفجرت وجحدت أُهلكت بسبب ذلك ولن تعود مرةً أُخرى للحياة، وبعضهم يقول إن هذه القرية التي هلكت لا تتوب، وعلى القارئ لكتاب الله أن يبحث، فله أجره وكرامته إن بَحَثَ، وله أن يقول إن هناك آيات تحتاج إلى فكر لإدراكها، ولكن أكثر كتاب الله واضح وبلسان عربي مبين.

اللسان واللغة:

لم تذكر أي آية كلمة (اللغة العربية) ولكن ذكرت كلمة اللسان العربي أربع عشرة مرة، عشر منها لا تعني إلا اللغة والباقي منها يعني اللسان العادي كقوله تعالى ﴿أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ٨ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ﴾ فاللسان هنا العضلة التي فيها عجائب الدنيا السبع، فهو يتذوق الأشياء هذا حلو وهذا حامض، .... وهي تساعد على النطق إلى درجة كبيرة، وهي تساعد في تقليب الطعام من جهة إلى أخرى، ولقد سموا اللغة بهذا الاسم لأن اللسان هو أبرز أدوات اللغة، هكذا نقدر هذا الأمر، ولكن لا يخلص أي تعريف أو رأي من الأخذ

والرد.

إنّ العلم بهذا اللسان العربي سواء بلفظه أو بمعناه أو بكتابته ورسم المصحف الذي حفظ لنا اللغة كلها لا يحيط به إلا نبيّ، نبيّ وهبه الله علماً فأحاط به، ولكننا لا نقف بعيداً عن بعض هذه المميزات التي نحسها وندركها، بل تفرض ذاتها علينا، ألا نتعامل مع هذا العلم الذي أطلق عليه علم الصرف، كيف نستطيع أن نبني من الفعل الواحد عشرات أو مئات الكلمات، وكيف نستطيع هضم الكلمات الأجنبية فنحولها بقوانين علم الصرف إلى كلام عربي، وكيف نجد لفظاً كثيراً للوجوه العديدة للمعنى الواحد، فالصرفُ له وجوه عديدة، صرفُ المال، ليس كصرف الماء، وليس كصرف النقود، وليس كصرف الرياح- إنها وجوه متعددة في لفظ واحد ولقد سمي كل ذلك اللفظ المشترك، ولا نقف عند لفظ واحد، إنها ألفاظ بالآلاف، دع هذا العلم الصرفي وانظر لعلم النحو، إن اللغات كلها فقدت ما يسمى بعلم القواعد النحوية، وهو تغير الحركات لتتغير المعاني.

فالعبارة: جاء آلُ محمودٍ يوسفَ، تختلف عن جاء آلَ محمود يوسفُ، وعبارة: ذهب إبراهيمُ وأكرمُ، تختلف عن: ذهب إبراهيمُ وأكرمَ لقد أدت الحركات إلى تغيير معاني الجمل كلها.

وإذا غيرت مواقع الكلام وجدتَ شيئاً آخرَ، يقولون: قتل الخارجيَّ الشرطةُ تختلف عن: قتل الشرطةُ الخارجيَّ، التقديم والتأخير له أهمية بالغة، فالأولى تعني أن اهتمام الناس كان شديداً بالخارجي لأنه أقلقهم وأزعجهم

فيريد الناس التخلص من وباء مجرم حرمهم الطمأنينة، فليس المهم من قتله، المهم أنه قتل، ولكن الجملة الثانية طبيعية تقدم خبراً مألوفاً، وكان لتقديم الخبر على المبتدأ أو تقديم المفعول به على الفاعل أو تقديم الحال على صاحب الحال، لقد كان لهذه الظاهرة أثر في إبراز المعنى المهم الذي تميل إليه القلوب، فقوله سبحانه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ﴾، تختلف عن عبارتنا «حتى إذا حضر أحدُهم الموتَ»، وقوله سبحانه ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ تختلف عن قولنا «وكان نصر المؤمنين حقاً علينا». إن هذه الظواهر النحوية واللغوية لها تأثيرات مباشرة في توجيه المعاني.

هذا شيء من اللسان العربي، وإن المسلم ليعلم أن أيّ شيء يكرر كثيراً في كتاب الله فإنه يقصد به شيءٌ محببٌ لنفوسنا، فهو تمجيد لذلك الشيء وليس ذلك تكراراً مجرداً، قد تقرأ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فتعلم متابعتك لهذه النعم التي يأتي بعدها ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ أنها نعم عظيمة، فالشمس والقمر نعمة عظيمة، والجنتان لمن خاف مقام ربه نعمةٌ عظيمةٌ، والنجم والشجر يسجدان دلالة عظيمة، والفاكهة والنخل والرمان نعمة عظيمة، وكذلك التكرار في (اللسان العربي)، فاللسان العربي دلالة عظيمة ونعمة عظيمة، ويجب ألا يأخذنا الغرور ونفرك أيدينا ونقول نلنا الدلالة والنعمة، فنحن لنا ميزة على البشر، لا، ثم لا، إن العمل لخدمة اللسان العربي والقيام بواجبنا تجاه الفكر الإسلامي هو الغرض الذي لا يعلوه غرض، هو خير الحياتين، دار الحياة ودار الحيوان.

أما التكرار عن اللسان واللسان العربي فقد ورد أربع عشرة مرة، منها ما كانت كلمة (اللسان) تعني اللغة، ومنها ما كان هذه الكلمة (اللسان) تعني اللسان العاديّ أي العضلة الموكلة بالنطق والذوق والمساعدة في الطعام وغير ذلك من أعمالها، إن عشر مرات كانت كافية لتؤكد موقع اللسان العربي في ألسنة الأمم. لقد كلف هذا اللسان باستيعاب الفكر القرآني - وياله من فكر عظيم- ونشره في جميع أمم الأرض، ولن يصل أي شيء من هذا الفكر بالدقة المناسبة إلا باللسان العربي، إنك قد توصل الأفكار العامة بالترجمة، ولكنك لن توصل الأفكار الدقيقة إلا بهذا اللسان الذي استوعب العام والخاص- استوعب الأفكار العريضة والأفكار الدقيقة، لقد سئلت أم المؤمنين عائشة عن آية اشتبه معناها على قريبها قال: يا أم المؤمنين: أرى أنه ليس علينا إثم أو ذم إن لم نطف بالصفا والمروة في الحج والعمرة، لأننا نقرأ قوله تعالى ﴿۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ۞﴾ فقالت عائشة لا يا بني، لو كانت المعاني المقصودة هي التي ذهبتَ إليها لكانت الآية [فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه ألاّ يطوف بهما]، فعلم السائل أن المعنى الدقيق يختلف عن النظرة العامة، وعلم أن دقائق اللغة ليست كالمبادئ العامة.

قال سبحانه في شرف هذه الأمة لشرف حملها كتاب الله باللسان العربي قال ﴿۞وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ۞﴾ [النحل:١٠٣]، وقال سبحانه ﴿۞نَزَلَ بِهِ

ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ **[الشعراء:١٩٣-١٩٥]**، وقال سبحانه ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾ **[مريم:٩٧]**، ....

حقاً إنه لشرف للرسول ﷺ وشرف لقومه؛ وهو يتجاوز أي شرف يفكر به شعب من أي شعوب الأرض، إنه شرف اللسان وشرف كتاب الله عز وجل، لقد امتزجَ اللفظ بالمعنى، وامتزج اللسان بالفكر الهائل، إن الله عز وجل أكرمنا، فيجب أن نشكر الله متأسين بأسلوب الرسول في شكر الله، كان شكراً خالصاً صادقاً متواصلاً.

كتابة المصحف وبعض الاعتراضات

الاعتراضات على أسلوب كتابة بعض الكلمات القرآنية قديمة، لقد بدأ ذلك من عصر التابعين، وشهد الإمام مالك تساؤلات في هذا الموضوع، وقد ذكر المؤرخون للتاريخ الإسلامي أن الصحابة أجمعوا على صحة ما فعل عثمان ابن عفان، لم يخرج عن هذا الطريق أحد، قال علي بن أبي طالب في هذه الكتابة في عهد عثمان «لا تقولوا في عثمان إلا خيراً، قال: أرى أن يجمع الناس على مصحف واحدٍ، فلا يكون فرقة ولا اختلافٍ[١] ثم جاء التابعون، فرأوا أن ما فعله عثمان ووافقه الصحابة في ذلك صحيح، وكان الإمام مالك صاحب الموطأ يقول: يكتب المصحف على الكتبة الأولى، وقد ذكر السيوطي في هذا الشأن قولاً واضحاً حاسماً عن الإمام مالك، قال «سئل الإمام مالك: أرأيت من استكتب مصحفاً أترى أن يكتب على ما استحدثه الناس من الهجاء اليوم؟ فقال لا أرى ذلك، ولكن يكتب على الكتبةِ الأُولى[٢]، وَمَثّل رأي تابعي التابعين الإمام أحمد بن حنبل، وقد أصر في رأيه على متابعة الكتْبة في المصحف وفقاً لمصحف عثمان، لا يأذن لنفسه أن يغير حرفاً ويحرم على غيره أن يغير حرفاً، قال السيوطي «وقال الإمام أحمد: يَحْرُم مخالفة مصحف

---

(١) رسم المصحف- د. شعبان إسماعيل.

(٢) الإتقان في علوم القرآن ١/ ١٣٦ للسيوطي.



عثمان في واو أو ياء أو ألف أو غير ذلك» [١].

ولكن هذا الحال لم يسلم بعد ذلك من التغيير والتبديل، ولكن لم أجد من يسبق الباقلاني في هذا التغيير والتبديل، فرفض الدعوى بأنه يجب على الناس التقيد بالرسم العثماني، لأنه لم يجد دليلاً عند القائلين بثبات الكتابة والتقيد بها، ورأى أن الصحابة كتبوا بالخط الذي يعرفونه، ونحن نكتب بالخط الذي نعرفه، قال الباقلاني «وبالجملة فكل من ادعى أنه على الناس رسم مخصوص وجب عليه أن يقيم الحجة على دعواه وأنّى له ذلك» [٢].

إذاً هناك رأيان يأخذ بهما العلماء، ولنا الحق ألا نتضايق من كلتا الكتابتين: كَتْبةُ المصحف، والكَتْبةُ التي اصطلح عليها حديثاً، كلاهما سليم لأنه لا يوجد نص قرآني أو حديث شريف يأمر بأي منها؛ وسنذكر آراء العلماء مفصلة في فصل قادم.

التّساؤلات:

تناولت التّساؤلات الأُولى بعض الكلمات التي رأوا فيها ألفاً زائدة أو حل فيها حرف الواو بدل الألف، أو ما شابه ذلك، قالوا لماذا كتبت لأذبحنه بالألف بعد الهمزة ﴿لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾، وقالوا لماذا كتبت الصلاة بالألف بعد الواو ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾، ولماذا وقع الخلاف في كتابة ﴿ٱلتَّابُوتُ﴾ بالتاء بدل التاء المربوطة (التابوة) بين زيد بن ثابت وسعيد بن العاص، وما سبب كتابة كلمة

(١) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١/ ٢١٣.

(٢) مناهل العرفان للزرقاني ٣٨٠.

بأيْدٍ بياءين أي بهذه الصورة ﴿بِأَيْيْدٍ﴾ ومثل هذه التساؤلات وقع في سبب كتابة ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي﴾ بالتاء المفتوحة في ﴿قُرَّتُ﴾، وسبب حذف الألف في ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾في كثير من السور، وحذف الألف في كلمة﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، في كثير من السور أيضاً، وهكذا، وهكذا.

وقد اجتهد علماء المسلمين في بيان ذلك فذهبوا إلى ثلاثة آراء، وهي:

(أ) رأي يقول إن هذا أسلوب الماضين في الكتابة، وكانوا على علم بما يكتبون، ويجب أن نقلدهم في كتابتهم فهم أعلم منا في ذلك. وسنأتي في صفحات قادمة على ذكرهم ونبين ما يرون وما أفكارهم التي عرضوها، وحججهم الكريمة التي تمسكوا بها.

(ب) ورأي آخر يخالف الرأي السابق فهو يذهب إلى جواز أن نكتب كلمة لأذبحنه من دون الألف، وإلى جواز كتابة﴿بِأَيْيْدٍ﴾ بياءٍ واحدة (بأيد)، وإلى جواز كتابة ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ﴾ بتاء مربوطة (قرة)، ولا يضير ذلك المعاني في أي شيء، فإن القارئ يدرك أن (القرت) هي القرة وأن بأيد هي بأييد، لم يدخل على المعاني أي خلل.

(ج) ورأى قوم أن التوسط هو الأَولى، وقد قاد هذا التيار عالم أحبه وأحب آراءه وأحب مواقفه، فقد أعطى لكل كلمة حقها في آرائه السياسية والعسكرية في أشد الأوقات العصيبة، فكأنه كان أحد القادة العسكريين

في حرب المسلمين ضد همجية التتار في القرن الثالث عشر الميلادي وضد همجية الصليبيين، قال سلطان العلماء في عصره العصيب المظلم «لا تجوز كتابة المصحف الآن على الرسوم الأولى باصطلاح الأئمة لئلا يوقع في تغيير من الجهال، ولكن لا ينبغي إجراء هذا على إطلاقه لئلا يؤدي إلى دروس العلم وشيء أحكمته القدماء لا يترك مراعاة لجهل الجاهلين، ولن تخلو الأرض من قائم لله بالحجة»(١)، لا يريد العز ابن عبد السلام أن يهدم جهود الحاضرين في رسم المصحف وضبط كتابته، لأنهم يسهرون ويشقون في سبيل كتاب الله، وينتفع بجهدهم كثير من الناس، وما اجتهدوا وبذلوا إلا لتسهيل القراءة على المسلم وغير المسلم، ولا يريد العزُّ من جهة أخرى أن يهمل علوماً قيمة سابقة قد وصلت إلينا وعلمنا ما بذله أولئك في سبيل الله، وكانت نتائج بحوثهم مثمرة جداً- فقد حفظوا القرآن بذات اللهجة التي قرئ بها- لا يريد العزُّ لهذه الجهود أن تضيع بين أيدي الذين لا يعلمون دقة تلك العلوم وأسباب الأخذ بها، والعزُّ رأى وعلم أن بعض الكلمات القديمة مثل ﴿ٱلزَّكَوٰةِ و ٱلرِّبَوٰاْ و يُنَشَّؤُا﴾ التي علمها السابقون وعلموا كيف تلفظ بالضبط قد تُوقع الجيل المعاصر للعزِّ بالخلل والخطأ والخطل، فالأولى أن تصبح الكتبة الحديثة للمصحف جائزة لأن في ذلك حفظاً للكلمة من التشويش، وإني أكاد ألمس المشكلة التي أحس بها ذلك العالم الجليل، إنها مشكلة صليبية جاءت من الغرب ومشكلة مغولية قادمة الآن من

---

(١) البرهان للزركشي ١/ ٣٧٩.

الشرق، كلتا المشكلتين تلتقي في الاستهانة بدين الإسلام ولغة الإسلام، فلغة العرب الآن مستهدفة، وقد أثر الصليبيون كثيراً في الاستهانة بالعربية وهجر الفصحى وتقليد الأمة للغرب في لهجاتهم ولغاتهم، فأراد العزُّ أن يسهِّل على القارئين قراءاتهم، أرادهم أن يلفظوا حسب الكتابة التي استحدثت لأنها أسهل عليهم من كَتْبَةِ القرآن ذات العراقة وذات المستوى العريق، وإذا درسنا مقدمة معجم لسان العرب وجدنا ابن منظور يؤلف معجمه (لسان العرب) بسبب تقليد الناس للغات الأعجمية لاسيما الأوروبية وأراد أن يجذبهم للغة كتاب الله.

الاعتراضات التي هدفها الطّعن:

لم يكن المستشرقون أكثرهم منصفين في تقييم اللغة العربية، ولا في بيان قدرتها على التعبير عن أدق الأشياء، لأن الحروب التي اصطلوا بنارها في بلاد الإسلام جعلت الإنصاف بعيداً، فاللغة العربية لديهم صعبة النحو صعبة المترادفات، صعبة اللفظ المشترك صعبة الكتابة، وقد دونوا آراءهم في كتبهم التي تشهد بأنهم كتبوا تحت ظلال فترات كئيبة ذاقوا فيها العذاب، ولم تصدر تلك الآراء عن دراسة لغوية واعية وعميقة، بل عن تأثر بالدعوى التي يحملونها؛ ولذلك كانت نقاطاً باهتة لم تغن عن أصحابها شيئاً.

قالوا: كلمة ﴿بِأَييِّكُمُ﴾ زيد فيها الياء، وكلمة ﴿ٱلزَّكَوٰةِ﴾ حولت الألف إلى واو، وكلمة قانت ذهب منها الألف فصارت ﴿قَٰنِتٌ﴾، وكلمة

الكتاب ذهب منها الألف فصارت ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾، وكلمة ﴿لَأَاْذْبَحَنَّهُۥ﴾ زيدت فيها الألف، وكلمة جيء زيدت فيها الألف فصارت ﴿وَجِاْىٓءَ﴾، وكان تفكير المستشرقين يوهان فن ودرمنجم وجب وغير هؤلاء المستشرقين واحداً، إنه سوء الكتابة العربية، وإنه إذا كان الخط العربي مناسباً في ذلك العصر فإنه الآن غير مناسب، قال المستشرق الألماني كامفماير مسروراً ومبتهجاً بشطب اللغة العربية من تركيا (إن قراءة القرآن العربي وكتب الشريعة الإسلامية قد أصبحت الآن مستحيلة بعد استبدال الحروف اللاتينية في تركيا بالحروف العربية، إن الكتابة بها غير مُيَسَّرة) [١].

هل من يقول ذلك تتوقع منه أن يأتي بكلام طيب عن اللسان العربي في لفظته أو كتابته، أو معناه أو عبارته أو بلاغته وفصاحته؟! ولم يكن حكماء الإنكليز وحكامهم في مصر بأقل من كامفماير، وقد ألحّوا في مصر على شطب الفصحى ليحل محلها العامية المصرية أو لهجة القاهرة وبذلوا في سبيل ذلك جهداً كبيراً، أرادوا أن يقنعوا شعب مصر بجدوى لهجة القاهرة وسهولة لفظها، أرادوا أن يقنعوهم أنها أقرب إلى العلم من اللغة الفصحى الجامدة المهجورة التي تلائم الصحراء والبوادي ولا تناسب جمال القاهرة، وقد اصطف علماء مصر الكرام، واصطف لغويوها ضد تيار هدم اللغة، وأثبتوا أن الجدارة لا تكون إلا في اللغة الفصيحة وليس في قواعد لغة متهالكة حاول وضعها سبيرو بك وولكوكس وولمور، لقد ظنوا أي هؤلاء المستشرقون، أنهم بلغوا مرتبة أبي عمرو بن العلاء والخليل بن أحمد وسيبويه والفراء والكسائي،

---

(١) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ٢/ ٣٦٦.

فصاروا يقنّنون ويقعّدون، وأحدهم لا يستطيع لفظ الضاد أو العين أو القـاف أو الغين، ولا يستطيع شرح عبارة واحدة بنيت على قواعـد اللسـان العربـي، تلك التي تغطي أدق المعاني، ولاسـيما معـاني القـرآن الكـريم، لقـد أراد الله تعالى أن يجعل كتابه الخالد بهذه اللغة الشريفة، وأراد أن يرفع شأن هذه الأمـة بكتابه الخالد، وأراد لنا أن نكون أصحاب لغة متميزة، فماذا يضير هـؤلاء، أن تحمل الأمة العربية للعالم بلغتها الشريفة كتاب الله وتنير طريق العبادة والإيمان وحفظ الحقوق للأمم جميعها.

الأمثلة وتعقيباتها:

هـذه الأمثلـة فيهـا صـفة إيجابيـة وهـي: جمـع الكلمـات الـتي وضـعها المستشرقون ومن جرى مجـراهم باعتبارهـا أمثلـة خاطئـة في القـرآن، وجمعهـا وإبرازها في مكان واحد، جمعوا ما قاله يوهان فك ودرمنجم وجـب، ومئـات من أمثال يوهان فك ودرمنجم وجب، ورصـدوا لـه موقعـاً واحـداً، وبـذلوا خلال أعوام جهوداً ليجعلوا العدد أكبر ولو قليلاً، ثـم عرضـوا مـا فعلـوا في فضائياتهم وغير فضائياتهم يبغون بذلك وصف المسـلمين بـالمنتحلين، الـذين وضعوا القرآن ثم ادعوا أنه من الله، قالوا: إن الجهلة هم الذين وضعوا القرآن ولما كتبوه ظهرت جهالتهم، أقول لكلِّ المستشرقين ومن تابعهم: إن غمسـةً في النار تجعل ذلك المغموس يقول: لم أر في حياتي خيراً قط! والإنسان من هدف إلى الحق بصدق وإخلاص وتجرد، لأن معرفة الحق تعطيه النجـاح الآن وعنـد بعثرة القبور.

أ- حذف الألف أو زيادتها في كلمة واحدة.

١. حذفت الألف من إحدى الكلمات في سور مثل (الأمثال) وأثبتت في الكلمة ذاتها في سور أخرى:

قال تعالى ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [الرعد:١٧] – أثبتت الألف.

و﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [الإسراء:٤٨] – أثبتت الألف.

وأما في قوله تعالى ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ﴾ [الفرقان:٩]، حذفت الألف.

و﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ [الحشر:٢١]، حذفت الألف.

٢. حذفت الألف من كلمة (كتاب) في: سورة البقرة في قوله تعالى ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]، والآيات ٤٤، و ٥٣، ٧٨.........

وثبتتْ في: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد: ٣٨]

وثبتتْ في: ﴿كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الحجر: ٤]

وثبتتْ في: ﴿طسٓ ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [النمل: ١]

٣. وأثبتت الألف في كلمة (قال) في أكثر سور القرآن مثل: قال تعالى ﴿وَإِذْ

قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

وحذفت في: ﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [المؤمنون:١١٢]

وحذفت في: ﴿قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ﴾ [المؤمنون:١١٤]

وحذفت في: ﴿۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم﴾ [الزُّخرُف:٢٤]

٤. ورُسمت كلمة ﴿عِبَٰدَنَآ﴾بدون ألف سورة ص ٤٥، ولكنها رسمت بالألف في القرآن كله مثل: [مريم: ٦٣] ، [ويوسف: ٢٤] ، [والكهف: ٦٥]....

ب- إضافة الألف في كلمات متنوعة أو حذفها:

١. أضيفت الألف في كلمات عديدة، وذلك مثل:﴿أَفَإِيْن مَّاتَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، ومثل ﴿لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾ [النمل:٢١]، ومثل ﴿وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ﴾ [الفجر:٢٣]، وفي﴿وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الزُّمَر: ٦٩]، بزيادة الألف بعد الجيم، ومثل﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيْءٍ﴾ [الكهف: ٢٣]، ورسمت الألف زائدة في ﴿دُعَٰٓؤُاْ﴾ وذلك في الآية ﴿وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [غافر: ٥٠]،

وجاءت كلمة: نشؤا في قوله تعالى ﴿فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ﴾ بألف زائدة هود ٨٧ وكلمة ﴿ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ﴾ زيدت الألف بعد الواو غافر ٤٧.

٢. وحذفت الألف في: ﴿شَعَٰٓئِرَ﴾ وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]، وجاءت كلمة ﴿بَصَٰٓئِرُ﴾ في سورة الجاثية ٢٠، بدون ألف، ولكنها في سورة الأعراف ٢٠٣ وسورة الإسراء ١٠٢ وسورة القصص ٤٣ بالألف. وقد وردت هذه الظاهرة أي حذف الألف في مئات الكلمات: ﴿ٱلۡكِتَٰبِ، ٱلسَّمَٰوَٰتِ، قَٰنِتَٰتٌ، وَسُبۡحَٰنَ، عِبَٰدَنَآ﴾،.....

٣. وفي الأفعال الماضية تجد كلمة ﴿سَعَوۡاْ﴾ في سورة الحج بالألف (٥١) وأما في سورة سبأ فإنها بحذف الألف، وذلك في الآية ٥، وجاءت في عدة أفعال وهي كما ﴿جَآءُو﴾ في قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡ﴾[النور: ١١]، وفي سورة يوسف ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ﴾ جاءت كلها بدون ألف أي: جاءو.

٤. حذف الألف من كلمة (بسم) في الأية ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، ولكن بتثبيتها في سورة العلق ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾، وفي قوله تعالى ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾، لم تحذف الألف من كلمة (باسْمِ) إلا في قوله تعالى: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، وانظر الحاقة والواقعة فسوف تجدها

مكتوبة.

٥. وحذفت من كلمة (يا ليت) فهي في سورة الزخرف ﴿يَٰلَيۡتَ﴾ وحذفت من كلمة يا عيسى: فهي في [آل عمران: ٥٥] و[المائدة:١١٠]: يَٰعِيسَىٰٓ .وحذفت من صيغة الجمع: ﴿لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ﴾، وصيغة الجمع هي لأماناتهم. وحذف من (الأيكة) كما في قوله تعالى ﴿وَأَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِ﴾ فالأيكة حذف منها ألف أداة التعريف (ال).

جـ - إضافة حروف أو تبديلها.

١. أضيفت الواو في بعض الكلمات مثل: ﴿بِٱلۡغَدَوٰةِ﴾ بدل الغداة، وذلك في [سورة الأنعام: ٥٢]، وفي ﴿شُرَكَٰٓؤُاْ﴾ بدل شركاء، [الأنعام: ٩٤]؛ وفي ﴿مَا نَشَٰٓؤُاْ﴾ بدل ما نشاء في [سورة هود: ٨٧].

٢. وأضيفت الألف في الآية ٨٧ من سورة يوسف ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ﴾ بدل لا ييأس، وكتبت التاء المربوطة بالتاء المفتوحة في ﴿ٱلتَّابُوتِ﴾ وفي ﴿قُرَّتُ عَيۡنٖ﴾ بدل (قرةُ عين).

٣. وكتبت الصاد بدل السين: ﴿وَيَبۡصُۜطُ﴾، وهي في الأصل ويبسط، وكتبت السين في موضع آخر بدل الصاد: ﴿لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ﴾ بدل بِمُسَيْطِر.

٤. كتابة النـون بـدل الألـف، وذلـك في سـورة العلـق ١٥: ﴿لَنَسْفَعًا﴾ بـدل لَنَسْفَعَنْ، وفي سورة يوسف ٣٢: ﴿وَلَيَكُونًا﴾ بدل وليكونن.

٥. كلمة إبراهيم، كتبت في سـورة إبـراهيم هكـذا: ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾، وكتبـت في سورة البقرة ٢٦٠ ﴿إِبْرَٰهِـۧمُ﴾ خففت الألف وخففت الياء.

إننا نجد هذه التغييرات والتبديلات والإضافة والحذف في كتابة المصحف الشريف، ونلاحظ أننا نقرأ المصحف قراءة سـريعة حينـاً وقـراءةً متأنيـةً حينـاً آخر، والغريب أننا نجد في التلاوة سهولة ويسراً وأُلفة، يبدو أن أسلوب كتابـة المصحف وذلك النغم الذي يتسرب إلى الصدور خلال القراءة يبـدو أنُ هـذه الكتابة التي تعتمد على النطق وذلك النغم الذي يميز كل سورة عـن الأخـرى هما الجاذبان للنفس في التلاوة، ويستطيع الناظر إلى قارئ القرآن أن يرى الأثر الذي أحدثه القرآن بكتابته السهلة ونغمه الفريـد في شـيء مـن المعمـار الفـني الموسيقي في نفس القارئ. إن الكراهية في نفوس بعض الأشخاص لا تجعلهم يلاحظون ذلك أو يحسون بهذا الجمال الفني الذي لا يماثله شيء؛ وإليك أيهـا القارئ هذا المثل:

البرازيلية: الغريب أنّ امرأة مثقفةً برازيلية سكنت في بيت مجـاور لبـيتي في عمّان- الأردن وكانت تسمع من مذياعنا تلاوة القرآن ونحن نستمع صباحاً للقرآن، إنها عادة لدينا في أكثر الأوقات، وهي عادة لعائلات إسلامية كـثيرة، قالت هذه المرأة لزوجتي وأختي الشقيقة أم أحمد: أنا أبكي وأنا أسمـع مـا تبثـه

الإذاعة، وأبكي بحرقة، ولكنني لا أفهم ما يقرأ، وحددت البرازيلية الوقت الذي تسمع فيه، فعرّفناها أن هذا قرآن من الله أرسله إلى رسوله وأمره أن يقرأه بين الناس ويذيعه في الخلق ما استطاع إذاعته، وكلام الله يؤثر فينا كما يؤثر فيك، ونحن نعرف أن الصوت الذي سمعته البرازيلية هو القرآن وكلمات القرآن، والنطق والنغم إنما هو نتيجة لصورة الكلمة المكتوبة.

نوع الخط:

لا نريد الاستطراد فإنه معروف تماماً لدى قراء المصحف أو كل من يقرأ المصحف أن الخط في المصحف يختلف عن الرسم الإملائي الذي تعارف عليه الناس في عصرنا، وهذا أمر تداوله العرب ومن تعلم لغة العرب لأمر ديني إسلامي أو لأمر من أمور التجارة والمعرفة، وهذا الاختلاف محدود في حروف العِلّة بنسبة تفوق ال ٩٥٪، وقد أجيزت الكتابة والتلاوة برسم المصحف أو بما تعارف عليه الناس في أسلوب الكتابة، أجازها الباقلاني والعز بن عبد السلام وأجازها في عصرنا الكتبةُ والإملائيون جميعاً.

تعليقات جائرة على رسم المصحف:

كانت تعليقات كثيرة ولكن نبذة مختصرة ستغني القارئ عن الإطناب والتأويل، وهي تهدف إلى زعزعة ثقة العربي والمسلم بكتاب الله سواء أكانت هذه الزعزعة بالتشكيك في المعاني، أو اللغة أو الكتْبة أو التناقض فيما يتراءى لهم أو أي شيء آخر، قالوا:

١- هل حفظ الله القرآن من أخطاء كَتَبَةِ القرآن أثناء كتابتهم للقرآن؟ إذا قيل لنا نعم. فنحن نسأل بماذا يعللون لنا كتابة إبراهيم بالياء في مكان وبدون ياء في مكان آخر؟ أي الكلمتين أصح، المحذوف منها أم المضاف إليها؟ إن لم تكن هذه الأخطاء ناتجة عن تفاوت مقدار معرفة كَتَبَةِ القرآن باللغة فبماذا نعلل تنوع الرسم للكلمة الواحدة؟ هل كان النبي الأمي هو الذي كان يقول لكاتب الوحي أكتب كلمة إبراهيم في سورة البقرة كلها بغير ياء واكتبها في بقية القرآن بالياء؟ واكتب كلمة بأييد بياءين، واكتب كلمة وجايء بزيادة ألف بعد الجيم،........ أم كان محمد هو الذي يملي كُتاب القرآن من تلقين جبريل (عليه السلام)؟ أجيبونا جزاكم الله خيراً.

وقالوا في تبيانهم الأخطاء الإملائية فيما يزعمون قالوا: لا يمكن لنا أن نتبع رسم القرآن في كتاباتنا العامة لأن مرسومه لا قاعدة له، فالصحابة ما مشوا في كتابتهم للقرآن على وتيرةٍ واحدة، فأحياناً يكتبون الكلمة في موضع بشكل وأحياناً يكتبونها في موضع غيره بشكل آخر، ولهذا قالوا خط المصحف لا يقاس عليه. لنأخذ بعض الأمثلة: حذف ألف (بسم الله) من البسملة لا ندري لِمَ حذفت ألف باسم من البسملة فقط، ولم تحذف من ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [**العلق**: ١] ولم تحذف من ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾ [**الأعلى**:١]، ومن ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [**الحاقة**:٥٢] ،....

ملاحظة عابرة:

لم نكتب مصدر هذه الأقوال، لأنها ليست لمصدر معين، فالذين قالوا بذلك مستشرقون كثيرون، وفي أوقات مختلفة ومتعددة، لقد ظنوا أنهم استكشفوا وبذلوا فباتت لهم حقائق أو قل ظنوها حقائق، لقد رضيت أنفسهم بأقل القليل من المعرفة، إن الأخطاء التي سجلتها قبل قليل لم تكن لمصدر واحد فننسبها إليه، وجعل منها حلقات في إحدى الفضائيات، إن جمعها في مكان واحد يسر لي بحثها وتنظيمها وترتيبها وبيان ما فيها من سحر وجمال، لقد غابت فتنة أسلوب الكتابة عنهم لأنهم لم يقرءوا ما أمامهم إلا بأسلوب البحث عن النقص والشوائب، فما عرفوا سر هذا اللون من الكتابة وتيسيره للقراءة وانسجامه مع النغم والموسيقى كما يقولون، إنك إذا كنت تبحث عن عيب فإنك تبدأ بتصور العيب وتحيط به ولو كان الأمر ليس كما تراه، حتى الصحيح تراه عيباً، ولم يسألوا أنفسهم: لماذا كتب صحابة النبي القرآن بهذه الصورة إن الذين اشتغلوا بكتابة المصحف آلاف من المسلمين، وإن الذين قاموا بالكتابة وكانوا يمثلون الآلاف هم عشرة فقط، إن الذين رأوا خطأً في الكتابة لم يكلفوا أنفسهم بالتساؤل: لماذا كتبوا إبراهيم في جميع القرآن بالياء وفي سورة البقرة بدون ياء، لماذا كتبوا باسم بالألف في القرآن كله، ولكنه في بسم الله فقط حذفت منها الألف، إن هؤلاء العشرة استقبلوا آلاف المسلمين على مدى أربع سنوات، وكان الأنصاري زيد بن ثابت أثبتهم في الكتابة والحفظ، ولم يكن يغيب عن سعيد بن العاص شيء، كانا يتعاونان وكان همهما ضبط المصحف وكتابته وفقاً لما سُمع من الرسول ﷺ؛ وسيأتي بيان

ذلك مفصلاً.

لماذا كتب المصحف بهذه الصورة

كتبت المصاحف بهذا الرسم الذي نقرؤه في جميع البلاد الإسلامية وغير الإسلامية لكي يُرفع الخلاف الذي وقع بين المسلمين عند قراءة القرآن! ولماذا اختلفوا؟ السبب في الاختلاف أن القرآن نزل على سبعة أحرف، فأهل اليمن ينطقون اللام ميماً، يقولون في السفر: أم سفر، ويقولون في الصيام – أم صيام، وقبائل تحول (حتى) إلى (عتّى) أي تصبح الحاء عيناً، وقبائل تحول الياء إلى جيم فيقولون علج بدل أن يقولوا: عليّ، وقبائل تحول الجيم إلى دال، وقبائل وقبائل وقبائل...، فاختلف الناس في الأمصار في نسبة القراءة إلى الرسول ﷺ، أي القراءات قرأ بها النبي ووافق عليها، ولا يغيب عن بالنا أن كثيراً من الناس كتبوا القراءة كما سمعوها من النبيّ ﷺ، وليس من السهل التخلي عن قراءة سمعوها من النبي ﷺ ودوّنوها وفقاً لسماعهم، فماذا جرى؟ ها هو الإمام البخاري يجيب عن ذلك:

قال البخاري: «قدم حذيفة بن اليمان على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في أرمينيا وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافُهم في القراءة فقال لعثمان: أدرك الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل

إلى حفصة أن أرسلي إلينا الصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد ابن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيءٍ من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم ففعلوا، حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفةٍ أو مصحف أن يحرق، قال زيد بن ثابت: فقدتُ آيةً من الأحزاب فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري، وهي قوله جلّ وعلا: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا﴾)[1]

وهذه رواية أُخرى للطبري، وهي رواية لا تفارق رواية البخاري إلا فيما يناسب ذوق المؤرخ من تسجيل الأسماء وإبراز الحوادث، قال الطبري: «إن حذيفة بن اليمان قدم من غزوة كان غزاها في خَرْج أرمينيا فلم يدخل بيته حتى أتى عثمان بن عفان فقال يا أمير المؤمنين؛ أدرك الناس، فقال عثمان: وما ذلك؟ قال: غزونا خرج أرمينيا فحضرها أهل العراق وأهل الشام، فإذا

---

(١) مختصر البخاري ٢/ ٢٧٩، (٢) تفسير الطبري ١/ ١٨ ط بولاق.

أهل الشام يقرءون بقراءة أبيّ بن كعب فيأتون بما لم يسمع أهل العراق فتكفرهم أهل العراق، وإذا أهل العراق يقرءون بقراءة ابن مسعود فيأتون بما لم يسمع أهل الشام فتكفرهم أهل الشام، قال زيد: فأمرني عثمان بن عفان أن أكتب له مصحفاً، وقال إني مدخل معك لبيباً فصيحاً فما اجتمعتما عليه فاكتباه وما اختلفتما فيه فارفعاه إليّ، فجعل معه سعيد بن العاص، قال فلما بلغا ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ﴾ قال زيد: فقلت التابوة وقال ابن العاص التابوت فرفعا ذلك إلى عثمان فكتب التابوت» تفسير الطبري ١/ ١٨ ط بولاق.

لقد حدد بعض العلماء العام الذي جرى فيه كِتْبَةَ المصحف، قالوا حدث ذلك عام خمسة وعشرين للهجرة، وذلك أن هذا العام هو عام فتح أرمينية، وذكر ابن حجر أن (ذلك كان في حدود سنة ثلاثين للهجرة) [1] ويبدو أنّ التاريخين صحيحان، فالأول كان البدء، والثاني كان وقت توزيع المصاحف على الآفاق، إذ نالت مكةُ مصحفاً، ومثلها الشام واليمن والبحرين والبصرة والكوفة وبقي واحد في المدينة، وقد أقبل المسلمون في الأمصار ينسخون منها نسخاً جديدة تفوق الحصر، وقد وحدت رسماً وترتيباً، وأطلق على كل منها

---

(١) كتاب المصاحف لابن أبي داود ص ٣٤، والمقنع للداني ص٩.

مصحف عثمان؛ فقد أشرف على هذا العمل الجليل ورعاه حق رعايته، وكان الكَتَبةُ يرجعون إليه عند الخلاف، فقد ذكر الطبري أن هانئ البربري الدمشقي مولى عثمان بن عفان قال: «كنتُ الرسولَ بين عثمان وزيد بن ثابت، فقال زيد سله عن قوله ﴿لَمۡ يَتَسَنَّهۡ﴾ في سورة البقرة (٢٥٩)، فقال عثمان اجعلوا فيها هاء، وقال راجعْنا عثمان بن عفان في (فأمهل الكافرين)، وراجعناه في (لا تبديل للخلق) فدعا عثمان بالدواة ومحا (فأمهل) وكتب ﴿فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ ومحا إحدى اللامين في كلمة (للخلق) وكتب ﴿لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِ﴾».

وقال محمد بن سيرين يصف هؤلاء الكتبة المدققين الأتقياء قولاً حسناً وكانوا من الأنصار والمهاجرين، قال (جمع عثمان لما أراد أن يكتب المصاحف اثني عشر رجلاً من قريش والأنصار فيهم أبيّ بن كعب وزيد بن ثابت، وكأنَّ الأمر كان للجماعة الأربعة الذين انتدبهم عثمان أولاً، ثم احتاجوا إلى من يساعدهم في الكتابة نظراً لكثرة المصاحف التي كان عليهم كتابتها» [١].

أما الأربعة الذين قاموا بهذا العبء الكبير فهم زيد بن ثابت، وعبد الرحمن بن الحارث وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص، وكان أكبرهم سناً

---

(١) لطائف الإشارات ١/ ٦٣ للقسطلاني.

زيد بن ثابت فقد كان عمره عند وصول رسول الله ﷺ إلى المدينة (إحدى عشرة سنة) [١] وأما سعيد بن العاص فكان عمره عندما تلقى الأمر بالكتابة ٢٥ سنة، ومثله عبد الله بن الزبير ولكن عبد الرحمن بن الحارث كان قد ولد عام وفاة رسول الله ﷺ فهو أصغرهم سناً.

---

(١) الاستيعاب ابن عبد البر ٤/ ٥٧٣.

رسم المصحف

منهجيّة زيد بن ثابت

أول نصيحة لعثمان بن عفان هي «إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش».

وقد كان واضحاً في ذهن عثمان أن هذه الكَتْبة الأخيرة ستوحد الناس في القراءة، فهم سيكتبون وفقاً لآخر قراءة وهي قراءة قريش على الأغلب، وكانت الكتابة دقيقة في تمثيل هذه اللهجة ولكن لم تُغفل أشياء من اللهجات الأخرى، فالكتابة مثلت الجزيرة العربية مع التركيز على قريش. كان زيد وصحبه يكتبون الكلمة كما ينطق بها، ونجد أحياناً الكلمة كتبت وهي تتحمل قراءتين، مثل «وجاْيءَ» فإن قرئت وجاء فهو صحيح، وإن قرئت بحذف الألف فهو صحيح، والمعنى في القراءة الأولى والقراءة الثانية بمعنى واحد، نقول في شرح (وجاء يومئذ بجهنم) فالله تعالى هو الذي جاء بها، ونقول في شرح (وجيء يومئذ بجهنم)، فالله تعالى هو الذي جاء بها، وقد استعمل الفعل للمجهول كثيراً في المصحف لأن فاعله معروف في الذهن، فالآية الكريمة ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ نعرف أن المزلزل هو الله، وذلك لا يحتاج منا إلى كد الذهن أو التصورات.

كان للقرآن سبع لهجات، ولم يكتب زيد منها إلا بحرف واحد أو لهجة واحدة وهي لهجة قريش، وترك زيد اللهجات الست بأمر من عثمان واتفاق الصحابة، وكانت اللهجة هذه هي التي رأوا رسول الله ﷺ يقرأ بها في أكثر قراءاته.

وقد تساءل المؤرخ الكبير والمفسر الفذ الطبري عن سبب هذه الكتابة وعن شطب الكتابات الأخرى، قال الطبري: «كيف جاز لهم أن يتركوا قراءةً أقرأهموها رسولُ الله ﷺ وأمرهم بها، قيل: إنّ أمره إياهم بذلك لم يكن أمر إيجاب وفرض وإنما كان أمر إباحة ورخصة لأن القراءة بها لو كانت فرضاً عليهم لوجب أن يكون العلم بكل حرف من تلك الأحرف السبعة عند من يقوم بنقله الحجة ويقطع خبره العذر ويزيل الشك من قراءة الأمة، وفي تركهم نقل ذلك كذلك أوضح دليل أنهم كانوا في القراءة مخيرين، فأما ما يكون من اختلاف القراءة في رفع حرف وجره ونصبه وتسكين حرف وتحريكه ونقل حرف إلى آخر مع اتفاق الصورة فمن معنى قول النبي ﷺ «أُمرتُ أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف بمعزِل»[1]. وقال الشيخ جلال الدين الحنفي: (وما عمله كتبة هذه المصاحف إنما ظاهر الالتزام بتصوير الصوت المنطوق تصويراً سليماً بالحرف الذي يحقق هذه السلامة، فهم حين كتبوا «وصالح المؤمنين» إنما عَنَوْا «وصالحو المؤمنين» أي المؤمنون الصالحِون، ولكنهم كانوا يحذرون

(١) كلام على الإملاء العربي من ص ٢٨-٢٩ للشيخ جلال الدين الحنفي.

المَدّ). ويعني ذلك أن زيد بن ثابت يشبه المصور الذي يحمل آلة التصوير فإنه ينقل الصورة بالضبط، إنه وصحبه كانوا يستمعون لقراءة النبيّ ﷺ ولذلك كتبوها كما سمعوها، وكان أولئك الأربعة الذين وقع عليهم حمل القراءة يتقيدون بالسماع مئة بالمئة، وإذ كان ديدنهم ذلك فقد قاموا بنسخ المصحف وفقاً لقراءات الصحابة كما نطقها النبي ﷺ، وإذا لم يجدوا صحابياً سمع فإنهم ينتظرون في الكعبة ليسألوا الحجاج والمعتمرين عن قراءة آية آل عمران أو آية النساء أو آية الكهف، كيف نطقها النبيّ ﷺ، فكان لبعض الكلمات صورتان لأن النبيّ ﷺ قرأ هذه الكلمة بصورتين أو بنطقَيْن، ومنها نعلم أن النبي قرأ الزكاة مرة بألف ممدودة ومرة بإمالة الواو (ٱلزَّكَوٰةِ) ليعلم أن أصل هذه الكلمة أي مصدرها من الفعل زكا يزكو، ومثلها ٱلصَّلَوٰةَ و ٱلرِّبَوٰاْ ، وكان لبعضها الآخر صورة واحدة فكتب زيد الكلمة بمنطوق واحد أي بشكل واحد يمثل تلك القراءة.

الكتابة ونطق النبي

لقد اتضح لدي أن كتابتهم كانت تمثل الوحي بالضبط، لقد لاحظت أن كلمة امرأة، وكلمة شجرة، تأتي في الكلام مضافة وأحياناً غير مضافة، قال سبحانه ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾، فهي هنا غير مضافة، فكتب بالتاء المربوطة لأن هذه التاء تصلح للفظ الهاء، ولكن في قوله تعالى ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ

﴿٤٣ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾ كتبت التاء مفتوحة لأن المضاف والمضاف إليه لا يفترقان، إنهما عند العرب تمثلان كلمة واحدة، وفي هذه الحال لا يجوز لفظها بالهاء، لفظها رسول الله ﷺ بالتاء ولا تلفظ إلا بالتاء فكتبها زيد وصحبه بالتاء المفتوحة.

لقد جاء في قراءة الآية التالية وجهان من الكتابة، قال سبحانه ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ (فتنفعُهُ) ٱلذِّكْرَىٰٓ﴾، وإذا تساءلت هل يجوز ذلك؟ قيل لك: نعم يجوز، لأن رواة القرآن روَوْا الحالتيْن، فما المعنى عندئذٍ لكل منهما؟

إذا قرئت بالنصب فالمعنى عندئذٍ يفيد السبب والعلة، أي إذا تذكر واتقى الله فإنه سبب كاف لتنفعه الذكرى، وإذا قرئت بالضّم فالمعنى عندئذٍ يفيد التتابع، أي ستكون المنفعة والمغفرة تالية مباشرة للتذكر، كأن عفو الله تعالى واقف وراء باب التذكر فما أن تفتح الباب حتى يأتي الغفران والعفو، وإذا أردت أن تجمع المعنيين فإنهما يجتمعان في أجمل معنى وأعذبه، قال سبحانه﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ (فتنفعُهُ) ٱلذِّكْرَىٰٓ﴾، فالمعنى لكلا الأمرين: إذا تذكر المؤمن فإن العفو سيأتي بسبب التذكر وسيكون مجيئه سريعاً، كأنَّ السرعة والسبب توءمان.

إن المحققين مجمعون على أن عثمان بن عفان قطع دابر الخلاف، فقد جمع

الناس على لغة واحدة كانت سبع لهجات أو سبعة أحرف وهي جائزة، ولكنها إذ أصبحت سبباً للخلاف، والفرقة والاختلاف، فإن عثمان رضي الله عنه فعل خيراً، لقد ألغى ستة أحرف وأبقى واحداً على الأغلب هو حرف قريش؛ ولذلك نكرر مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه قوله «لا تقولوا في عثمان إلا خيراً، قال: أرى أن يجمع الناس على مصحف واحد فلا تكون فرقة ولا اختلاف»(١)، إنه قول مهم وجدير بكل مسلم أن يجعله كنزاً له.

إذاً مصحف عثمان الذي أشرف عليه زيد بن ثابت والرهط الثلاثة معه وتمّ استخلاصه من فئات المهاجرين والأنصار والحجاج والمعتمرين أصبح المرجع، وأنهى الخلاف، ولكنا نرى قراءة الحصري تختلف عن قراءة الطبلاوي وتختلف عن قراءة عبد الباسط عبد الصمد، وتختلف قراءة قراء السعودية عن قراء العراق والشام، إن هذه الاختلافات تتعلق بغير الأحرف واللهجات، إنها تتعلق بقوم اعتادوا القراءة بالإمالة أو عدم الإمالة وهذه أشياء تناسب جميع الأحرف، وتتعلق بالهمز أو تليين الهمز وهذا صالح أيضاً لكل اللهجات، ومثل ذلك الوقف والوصل وحركات الضم والفتح والكسر، إنها أساليب من فنون اللفظ عند العرب، وأطبق هذا على قوله تعالى ﴿وَأَنْ أَتْلُوَاْ ٱلْقُرْءَانَ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ [النمل: ٩٢]، ما سر كتابة (أَتْلُوَاْ) بفتحة على الواو ثم إضافة الألف وعليها السكون، وما سر كتابة

---

(١) رسم المصحف وضبطه للدكتور شعبان إسماعيل ص ٢١.

(أَنَاْ) بصفر مستطيل فوق الألف؟ إنك تستطيع أن تقرأ الفعل المضارع بالنصب كوجه من العربية إضافةً إلى كونه سنة متبعة، وتستطيع أيضاً أن تقرأ بالجمع فتقول: وأنِ اتلوا ونمد الواو لأن هذه الألف مؤشر للمد، وأما (أنا) بالصفر المستطيل على الألف (أَنَاْ) فهي تدلك على حالتين: الوقف والوصل. قال الدكتور محمد سليمان الأشقر في زبدة التفاسير: «إن الذين كتبوا المصاحف في عصرنا أو العصور السابقة التي تلت الكتبة الأولى اعتادوا أن يبينوا كيفية رسم النسخ القرآنية». وقد يصلح ما قاله الدكتور محمد سليمان الأشقر لأن يمثل أسلوب الكتابة عن الآخرين، قال الدكتور الأشقر رحمه الله: « كتب هذا المصحف على ما يوافق رواية حفص عن عاصم عن... عن النبي ﷺ وأخذ هجاؤه مما رواه علماء الرسم عن المصاحف التي بعث بها عثمان بن عفان إلى البصرة والكوفة والشام ومكة والمصحف الذي جعله لأهل المدينة والمصحف الذي اختص به نفسه» [1]، فالكتابة إذاً جاءت مطابقة روايةً ورسماً لما نطق به الرسول ﷺ.

وقد ذكرت أكثر كتب علوم القرآن التي أُلّفت عبر العصور بعناوينها المختلفة، كعنوان علوم القرآن أو في قضايا القرآن أو... أو... ذكرت هذه الكتب الفكرة التالية وهي قول زيد بن ثابت: «كنتُ أكتب الوحي عند رسول

(١) زبدة التفسير/ د. محمد سليمان الأشقر ص ٨٢٩.



الله ﷺ وهو يملي عليّ، فإذا فرغتُ قال: اقرأه، فأقرؤه، فإذا كان فيه سقط أقامه ثم أَخرجُ به إلى الناس»[١]، كلُّ كلمة قيلت أو كل وقفة جائزة أو غير جائزة وكل عبارة لفظت كان رسول الله ﷺ بوحي الله عز وجل يوافق عليها إن كانت سليمة أو يصلحها إن رأى فيها خللاً، وبعد هذه المراجعة يعلن زيد ابن ثابت أن هذه التلاوة هي التلاوة الصحيحة التي سمعها من النبي ﷺ، وقد أعاد الكَرَّة ذاتها وكان معه ثلاثة رهط يساعدونه.

الكتابة والمعنى

إن كتابة زيد مثلت شيئين، أولهما: نطق رسول الله ﷺ لكل عبارة أو كلمة أو وقف أو وصل أو غير ذلك من فنون القول، وثانيهما: إدراكه للمعاني التي يشير إليها النطق، سواء أكان ذلك في العبارة أو الكلمة أو الوقف أو الإدغام أو غير ذلك، إن كتابته مثالية في تطابق النطق مع المعنى، والتحام الكلمة بالفكرة، لقد كتب زيد: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ فعلم أن كلمة (أيدي) تشير إلى جمع اليد، ولكنه عندما وضع ياءين لليد علم من نطق رسول الله ﷺ إلى أن القوة هي المقصودة الآن من إضافة الياء الثانية، فليست كلمة (بأيد) مثل كلمة (بأييدٍ)، فلم يكن اتصال الياءين بعضهما ببعض كالياء المفردة، ورأيي أنّ كلمة (بأيّكم) المفتون تفيد القوة والتشدد، فلم يأتِ التشديد عبثاً، وقد سمعتُ أحد القراء يقف في موضع لم أسمع أحداً يقرأ به من قبل،

(١) المصادر المتعددة التي ذكرتها.

إنه يقرأ قوله تعالى ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾ فيقف عند كلمة (تشرك)، وبهذه القراءة يصبح المعنى غير المعنى الذي أَلِفْته، إذ تعايشت من قبل في تلاوة كتاب الله أن الوقف عند كلمة بالله، أي (يا بنيّ لا تشرك بالله)، أما الآن فهي ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ ﴾، ثم يقسم ﴿بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾.

لقد مثلت كتابة زيد في وقتها وحدة القراءة بين المسلمين جميعاً، ومثلت شيئاً مشتركاً عند العرب في زيادة بعض الأحرف أو إنقاص بعض الأحرف، كان ذلك يجري في مختلف لهجاتهم، فإذا رصدنا مثلاً زيادة الياء في بعض الكلمات وقلبنا الأمر على وجوهه لماذا حدث هذا وجدنا إجابات محددة تتعلق بالتمييز بين كلمة وكلمة، حتى لا تقرأ كلمة لغير ما تعنيه، لقد جاءت الواو زائدة في كلمة (أُولي، وكلمة أولئك) لماذا؟ ألا يرى القارئ أن الواو قدمت عوناً له في ضبط هذه الكلمة وتمييزها من غيرها، لو حذف الواو لكتبت الكلمة هكذا (ألي) كأنها حرف الجر، ولو كتبت أولئك بدون الواو لأصبحت (ألئك)، وإن خففت الهمزة قلت (إليك) وقد زيدت في عدة كلمات مثل الكلمتين السابقتين مثل: أولو، أولات وأولائكم حملاً عليها، وإن تركتَ زيادة هذه الواو ثم التفتّ إلى حذف الياء في كتابة زيد بن ثابت فإنك تجد الدكتور شعبان إسماعيل في كتابه: المصحف وضبطه، يعلل لذلك بمنطق سليم يجعلك تقول إن كتبة المصاحف في ذلك الوقت قدموا علماً نافعاً جداً

للمسلمين بعدهم ليستطيعوا أن يقرءوا القرآن في وتيرةٍ واحدة في الكلمة ونطق هذه الكلمة، قال الدكتور: «أما حذف الياء، فظاهرة هذا الحذف كثيرة في القرآن سواء أكانت الياء أصلية أي من بنية الكلمة مثل الداعِ فإن أصلها (الداعي) أم كانت زائدة مثل (فارهبونِ وفاتقون) فقد حذفت من المصاحف للتخفيف وهي لغة مشهورة عند العرب، إذ يقولون مررتُ بالقاضِ وجاءني القاضِ فيحذفون الياء لدلالة الكسرة عليها» إن هذا تعليل لغوي، فقد انجذب لغوياً للتعليل، وتعليله صحيح، وقد سبقه إلى هذه التعليلات الإمام السيوطي إذ قال: «تحذف الألف من ياء النداء، نحو يأيها الناس وهاء التنبيه نحو هؤلاء، وقد زيدت الألف بعد الواو نحو ملاقوا ربهم، إنا مرسلوا الناقة، وفي الهمز يكتب الساكن بحرف حركة ما قبله أولاً أو وسطاً أو آخراً نحو: إيذَنْ وأوتمن، وفي البدل تكتب بالواو للتفخيم كألف الصلاة، وما فيه قراءتان كتبت على إحداهما إلا ما شذ منها، مثل مالك يوم الدين، يخادعون الله» إن تعليلاته لغوية نطقية.

أوجه المعاني

تلك تعليلات نطقية لغوية، والقرآن كما يحمل أوجه المعاني المتعددة، ويعطي زخماً لهذه الأوجه المتعددة، فكذلك تتحمل كتابته أوجه اللغة كما تحملت أوجه المعاني، لم يكن عمل زيد بن ثابت وصحبه هيناً، كان كما قال (كأنه يحمل جبلاً)، ولذلك استعان أولاً باثني عشر رجلاً استعانة مستمرة، وهؤلاء استعانوا بآلاف الصحابة ليعرفوا كيف كان رسول الله ﷺ ينطق

الكلمة ليكتبوها كما نطقها، وتخصص من بين اثني عشر رجلاً الرهط الأربعة، وفي مقدمتهم دائماً زيد بن ثابت؛ فقد كتب بين يدي الرسول ﷺ ثم كتب بين يدي عثمان بن عفان.

لو كان زيد بن ثابت حياً لسألناه: لماذا حذفت الواو من هذه الكلمات: ويدعُ الإنسان، ويمح الله، يدعُ الداع، سندع الزبانية، ولكننا وجدنا علماء مكرمين اجتهدوا وبذلوا بالاستناد إلى معارفهم اللغوية فاستنتجوا وأفلحوا وطمأنوا ناساً لا يعلمون، قالوا: «إنّ السر في حذفها من هذه الأربعة هو التنبّه على سرعة وقوع الفعل وسهولته على التفاعل وشدة قبول المنفعل المتأثر به» [1]، وقال آخرون معتمدين على نظرهم للحروف ورسمها إنما كان ذلك وفقاً للنطق، لقد سمعَ الكُتابُ الذين وكل عثمان بن عفان الكتابة إليهم، إننا جميعاً نعلم أن الكُتاب (رضي الله عنهم) قد تمسكوا بالنطق تمسكاً كاملاً، ولكن منّا العالمون ومنّا الدراسون ومنّا القارئون ومنّا دون ذلك، فنأخذ من استكشافهم لهذه النقاط القرآنية، ونعلم أنّ كل حركةٍ أو إضافة أو حذف كان لها عمق في القراءة وعمق في فهم المعاني والإحاطة بها، ونجد التعليل الآتي في حذف الياء من كلمة (ينادِ) في قوله تعالى ﴿يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ﴾ إذ قال الدكتور المهتم بالقراءة والتجويد عبد الله حيلوز: «﴿يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ﴾

(١) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٢/ ٢١٤.

[ق:٤١]، إن إثبات حرف الياء رسماً وحذفه لفظاً في حالة الوصل للتخلص من التقاء الساكنيْن، وهذه حالة عامة، ومثل ذلك قوله جَلَّ وعلا، ﴿وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ﴾ [البقرة:٧١]، إذا اضطر القارئ للوقف عليها وقف بإثبات حرف الياء فيقول (تسقي)» [١].

اجتهاد العلماء

لم يأمر القرآن بفهم أسرار الكتابة ولم يأمر الرسول بفهم أسرار هذه الكتابة، وقد اجتهد بعض العلماء وأعلن بعضهم الآخر أنه لا يريد الاجتهاد في فهم أسرارها لأنه لا يملك العلم الذي يؤهله ليخوض في البحث في أسرار هذا العلم، قال الشيخ عبد العزيز الدباغ «إنما هو توقيف من النبيّ ﷺ وهو الذي أمرهم أن يكتبوه على الهيئة المعروفة بزيادة الألف ونقصها لأسرار لا تهتدي إليها العقول، وكما أنّ نظم القرآن معجز فرسمه معجز أيضاً، وكيف تهتدي العقول إلى سر زيادة الألف في (مائة) دون فئة، وإلى سر زيادة الياء في (بأييد وبأييكم)؟ أم كيف تتوصل إلى سر زيادة الألف في (سعوا) في سورة الحج ونقصانها من (سعوْ) في سبأ» [٢].

إنّ عالم القراءات الزركشي يجد تعليلاً، ويُصرُّ أنّ شيئاً من القرآن لم

(١) الميسر المفيد في علم التجويد/ د. عبد الله حيلوز ص ١٣٠.
(٢) مباحث في علوم القرآن/ د. صبحي الصالح/ ص ٢٧٦.

يكتب عشوائياً، لقد كتب كل شيءٍ بقدر، وعلم وتوجيه وأمر نبـوي، ولم ينـه الرسـول ﷺ عـن البحـث والتنقيـب لمعرفـة الأسـرار في علـوم القـرآن، قـال الزركشي: «إن الألف زيدت بين اللام والهمزة في (ملائه) تنبيهاً على تفصـيل مهم ظاهر الوجود، ومثله زيادة الألف في (مائة) لأنه اسم يشتمل علـى كثـرةٍ مفصلة: آحاد، عشرات، مئات»[1].

(١) البرهان في علهم القرآن/ للزركشي/ ج١/ ص ٣٨٥.

مع كتاب البرهان

ألف هذا الكتاب الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، وكان ذلك في القرن الثامن الهجري، وحققه الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم، وقال في أول صفحاته يصفه «احتفل به قراء العربية في كل مكان لشرف مقاصده واشتماله على شتيت الفوائد ومنثور المسائل وإبداعه في التنسيق وحسن التأليف».

إن كثيرين قد كتبوا في رسم المصحف في مثل حذف بعض حروف العلة أو إضافتها فكلمة (جاءوا) كتبت من دون ألف عدة مرات، وكلمة (سأوريكم) كتبت بزيادة الواو، وكلمة (ملاقوا ربهم) كتبت بألف زائدة ومثلها (أولوا الألباب)، وحذفت من (مالك الملك)، (وذرية ضعافاً)، وحذفت من: (يجادلوكم)، (وباطل)، وكتبوا في الهمزة وشكلها وتأثرها بحركة ما قبلها، وكتبوا في الفصل والوصل، لماذا نكتبها متصلة ولماذا نكتبها منفصلة وذلك في مثل: ألاّ أقول، أو أن لا نقول، أن لا ملجأ من الله، أو ألاّ ملجأ من الله، أنْ لا يدخلنها أو ألا يدخلها؛ وكتبوا عما فيه قراءتان مثل مالك يوم الدين، يخادعون الله، تزاور، لا مستم،......

لقد كتبوا في هذه الأشياء في مرسوم الخط بل أكثر من ذلك، وقد

عد السيوطي في كتابه (الإتقان في علوم القرآن) كتباً كثيرة، فلم يتركوا شيئاً يتعلق بالخط إلا كتبوا فيه، ولكن أنواع الكتابة تختلف من غرض إلى غرض، قال السيوطي« (في مرسوم الخط وآداب كتابته) أفرده بالتصنيف خلائق من المتقدمين والمتأخرين منهم أبو عمرو الداني، وألف في توجيه ما خالف قواعد الخط منه أبو العباس المراكشي كتاباً سماه (عنوان الدليل في مرسوم خط التنزيل) بيّن فيه أنّ هذه الأحرف إنّما اختلف حالها في الخط بحسب اختلاف أحوال معاني كلماتها» [١].

وقال السيوطي أيضاً: «سئل مالك: هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء؟ فقال لا إلا على الكتبة الأولى، قال أبو عمرو الداني: ولا مخالف له عند علماء الأمة، وقال أيضاً: سئل مالك عن الحروف في القرآن مثل الواو والألف، أترى أن يغير من المصحف إذا وجد فيه كذلك؟ قال: لا، قال أبو عمرو: (يعني الواو والألف الزائدتين في الرسم المعدومتين في اللفظ نحو: أولوا) وقال الإمام أحمد: يحرم مخالفة مصحف عثمان في واو أو ياءٍ أو ألف أو غير ذلك، وقال البيهقي في شعب الإيمان: «من يكتب مصحفاً فينبغي أن يحافظ على الهجاء الذي كتبوا به تلك المصاحف ولا يخالفهم فيه ولا يغير مما كتبوه شيئاً، فإنهم كانوا أكثر علماً وأصدق قلباً ولساناً وأعظم أمانةً منا،

(١) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ص٢١٢- دار المعرفة، بيروت، لبنان.

فلا يجوز أن نظن بأنفسنا استدراكاً عليهم»، وينحصر أمر الرسم في سِتِ قواعد هي الحذف والزيادة والهمز والبدل والوصل والفصل، وما فيه قراءتان فكتب على إحداهما»[١].

وأهم ما ذكره السيوطي في هذه الفقرة هو ما ذكره عن أبي العباس المراكشي إذ قال: إن هذه الحروف إنما اختلف حالها بحسب اختلاف أحوال معاني كلماتها، فلم يكن الحذف أو الإضافة شيئاً هامشياً أو عشوائياً أو نظرات مؤقتة للكتاب في عصر النبيّ ﷺ، وإنما هي المعاني والأفكار والمفاهيم، فكل قراءة مخالفة للقراءات العادية أو كل كَتْبة في مصحف عثمان وراءها هدف ترمي إليه القراءة أو الكَتْبة.

لم تكن كتابة السيوطي شافية للنفس في موضوع علاقة النطق بالكتابة والمعاني التي تؤدي إليها، لقد اهتم بمفردات تلك الخطوط التي حالفت الرسم العادي، ولم يعط لتلك المخالفات سبباً، ولم يبين المعاني التي أدتها تلك الخطوط، ولكن بدر الدين الزركشي أعطاها قيماً عديدة، وإن لم تكن شاملة لكل ما خالف الخط العادي، ولكنه قدم وفرة وما أعظم تلك الوفرة!

---

(١) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ص٢١٣- دار المعرفة، بيروت، لبنان.

أفكار البرهان

لقد أتيت بخلاصة جيدة لأفكاره، وأتيت بأقواله في مناسبات عديدة حتى أبين ما قاله بالضبط ولاسيما في الأمور العامة في زيادة الحروف أو حذفها أو تبديل بعض الحروف، وقد أعطانا هذا العالم الجليل أفكاراً كثيرة عن المعاني. فإنك إذاً ستجد علاقتي بهذا العالم ذات شقين، شق أذكر فيه أفكاره العامة بصِيَغٍ مني، وشِق آخر تجده ماثلاً فيه بقوله وفكره، والشِقان يعطيان دارس كتاب الله فكرة عامة عن تلك الخطوط التي رسمت في المصحف وفيها شيء ما من التغيير عن الكتابة العادية الإملائية التي طرأت عبر العصور كأن تكتب (الطعم) بمدة قصيرة أو تكتبها بالألف العادية (الطعام) وهذا تفصيل ذلك:

١- زيادة الألف أو حذفها:

قال سبحانه في [سورة النمل: ٢١] ﴿لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾ وقال سبحانه في سورة التوبة﴿وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ﴾، **قال الزركشي**: «زيدت الألف تنبيهاً على أن المؤخر أشد في الوجود من المقدم عليه لفظاً فالذبح أشد من العذاب» يشير الزركشي بذلك إلى قوله تعالى ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ وأما قوله تعالى

﴿وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ﴾ «فالإيضاع أشد وقعاً من الخبال، لأن الخبال نوع من الضعف، أما الفتنة في داخل الجيش فهي قتل للجيش كله، إذاً زيدت الألف في كلتا الحالتين للضغط الشديد وشدة العذاب»[1].

وذلك في قوله تعالى: ﴿لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ﴾ [التوبة: ٤٧].

وقال الزركشي: «وأما قوله تعالى ﴿وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ﴾ [سورة يوسف: ٨٧] ، لأن الصبر وانتظار الفرج أخف من اليأس، واليأس لا يكون في الوجود إلا بعد الصبر والانتظار»[2].

وربما تأتي الألف الزائدة بعد الواو في آخر الكلمة، وذلك مثل يرجوا ويدعوا، وسبب ذلك لأن الفعل أثقل من الاسم لأنه يستلزم فاعلاً فهو جملة والاسم مفرد لا يستلزم غيره، فزيدت الألف تنبيهاً على ثقل الجملة، وإذا زيدت مع الواو التي هي لام الفعل فمع الواو التي هي ضمير الفاعل أولى لأن الكلمة جملة مثل (قالوا وعصوا)، وقال «وقد تسقط في مواضع للتنبيه على اضمحلال الفعل نحو ﴿سَعَوۡ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ﴾ في [سورة سبأ: ٥] ، فإنه سعي في الباطل لا يصح له ثبوت في الوجود؛ ومثل الآيات الكريمة التي ذكر

---

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي جـ١/ ص٣٨٢.

(٢)البرهان .

فيها جاءوا ﴿وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة الأعراف: ١١٦] ، و ﴿جَآءُو ظُلۡمًا وَزُورًا﴾ سورة الفرقان ٤، ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءً يَبۡكُونَ﴾ [سورة يوسف:١٦]، و ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖ﴾ [سورة يوسف:١٨]، إن هذا المجيء ليس على وجهه الصحيح» (١).

وقال: «وحذفت في قوله تعالى ﴿وَعَتَوۡ عُتُوّٗا كَبِيرٗا﴾ [سورة الفرقان: ٢١] هذا عتو على الله، ولذلك وصفه بالكبر فهو باطل في الوجود» (٢).

وقال الزركشي: «وكذلك زيدت الألف بعد الهمزة في كلمتين ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ﴾ [سورة المائدة: ٢٩]، و ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ﴾ [سورة القصص: ٧٦]، وهذا تنبيه على تفصيل المعنى، فإنه يبوء بإثمين من فعل واحد، وأما تنوء المفاتيح بالعصبة، فهو نوءان للمفاتح لأنها بثقلها أثقلتهم فمالت وأمالتهم، وفيه تذكير أيضاً بأن مفاتح كنوز الدنيا الملموسة المحسوسة تقارن مع مفاتح كنوز العلم الذي ينوء بالعصبة أولي القوة في يقينهم إلى ما عند الله في الدار الآخرة» (٣).

وقال الزركشي: «وزيدت الألف لمعنى ظاهر في نفس الكلمة مثل قوله

---

(١) البرهان جـ١/ ٣٨٢.

(٢) البرهان ١/ ٣٨٣.

(٣) البرهان جـ١/ ص٣٨٤.

تعالى ﴿ وَجِاْىٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَ ﴾ [سورة الفجر: ٢٣]، زيدت الألف دليلاً على أن هذا المجيء هو بصفة من الظهور ينفصل بها عن المجيء المعهود، وقد عبر عنه بالماضي فيستوي في علمنا ملكها وملكوتها في ذلك المجيء،... وهذا بخلاف حال «وجيء بالنبيين والشهداء» حيث لم تكتب الألف لأنه على المجيء المعروف في الدنيا» (١).

وقال الزركشي في زيادة الألف أو حذفها: «وكذلك زيدت في ملئه في قوله جل وعلا، ﴿ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ ﴾ [سورة هود: ٩٧]، زيدت الألف بين اللام والهمزة تنبيهاً على تفصيل مهم ظاهر الوجود، ومثله زيادتها في مئة لأنه اسم يشتمل على كثرة مفصلة بمرتبتيْن آحاد وعشرات، وقال غير ذلك في عدة مواطن.

٢- زيادة الواو:

قال الزركشي: «زيدت الواو للدلالة على ظهور معنى الكلمة في الوجود في أعظم رتبة في العيان، مثل قوله تعالى ﴿سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ [سورة الأعراف: ١٤٥] ، وفي قوله تعالى ﴿سَأُوْرِيكُمۡ ءَايَٰتِي ﴾ [سورة الأنبياء: ٣٧]...... وكذلك (أولي وأولوا) زيدت الواو بعد الهمزة حيث وقعت لقوة المعنى على أصحاب لأن في معنى الصحبة زيادة التمليك والولاية عليه.

(١) البرهان جـ١/ ص٣٨٤.

٣- زيادة الياء:

قال الزركشي: «قال أبو عمرو الداني في المقنع: زيدت الياء لاختصاص ملكوتي مثل: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ [سورة آل عمران: ١٤٤]، ومثل ﴿مِن نَّبَإِي۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ ... قال أبو عباس المراكشي: إنما كتبت (بِأَيْيْدٍ) فرقاً بين (الأيد) وهو القوة، وبين الأيدي جمع (يد) ولا شك أن القوة التي بنى الله بها السماء أحق بالثبوت في الوجود من الأيدي، فزيدت الياء لاختصاص اللفظية بمعنى أظهر في إدراك الملكوتي في الوجود» [١]، لم يكن فهم هذه الرسوم مقصوراً على الزركشي، فليس هناك أي علم يختص به إنسان واحد، فإن الأوراق السابقة تحدثت حتى الآن عن ثلاثة علماء هم: الزركشي، وأبو العباس المراكشي، وأبو عمرو الداني، وقد بذل علماء آخرون كما بذل هؤلاء الأئمة الأعلام، كانوا يتوقفون عند كلمة ﴿بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾ فيرون أن الياء الزائدة لغرض وهو التخصيص بالصفة والتحقق في الوجود فإنّهم هم المفتونون دونه فجاءت كلمة (أيْ) بياءين لصحة هذا الفرق بينهم وبينه فهو شيء باطني ملكوتي، وإنما جاء اللفظ بالإبهام من أجل المجاملة في الكلام» [٢]، وأنّ الرسول ﷺ كان يستمع لما يكتبون فيقول أعيدوا هذه

---

(١) البرهان في علوم القرآن/ للزركشي/ جـ١/ ٣٨٧.

(٢) البرهان في علوم القرآن/ للزركشي/ جـ١/ ٣٨٨.

واكتبوها بالمد، ولا تقف هناك بل قف هنا كان النطق هو سيد الموقف، ولم ينل كتاب في العالم ما ناله القرآن من التحوط في كتابته ودقة رسمه، ولكن شيئاً من ذلك لم يكن عفوياً، فإن وضعت الألف في كلمة الكتاب مثلاً فهي لغرض، وإن حذفت فهي لغرض.

٤- حذف الألف:

كلمة القرآن وكلمة الكتاب بينهما قرابة شديدة، ولكن إذا وضعت الألف في (قرءان) فلها غرض، وإن حذفت الألف من كلمة (الكتاب) فلذلك غرض أيضاً، إن وجود الألف أو حذفها له مؤشر ودلالة، فالكتاب بالألف لها دلالة تختلف عن الكتاب بدون ألف؛ وكذلك القرآن، قال الزركشي «قال تعالى في سورة هود ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [سورة هود: ١]، وقال ﴿إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ﴾ [سورة القيامة: ١٧] ، لقد ثبت في الخط ألف (القرءان) وحذفت ألف (ٱلۡكِتَٰبَ)، القرآن أدنى إلينا في الفهم من الكتاب وأظهر في التنزيل»[(١)].

ونظر إلى الكلمتين القرءان والكتاب بالألف، و ٱلۡقُرۡءَانَ وٱلۡكِتَٰبَ بدون ألف فوجد أن استعمالهما كما يلي: إذا كان شيء علوي وملكوتي مما لا يدركه الحس أو الشعور فإن الألف تحذف، وأما ما كان عكس ذلك من أمور

(١) البرهان في علوم القرآن/ للزركشي/ جـ١/ ٣٨٨.

سفلية أو من ملك حقيقي بين يديك وتشعر به وتحس به فإن الألف تثبت؛ ولذلك تجد أن كلمة الكتاب أو كلمة كتاب وردت في القرآن الكريم بغير ألف لأن الكتاب تعلق بالأمور العلوية غير المدركة وغير المحسوسة، لكنها جاءت في بعض المواضع بالألف، ففي سورة الرعد قال سبحانه ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ آية ٣٨، لأن كتاب الأجل محدد، وهو أخص من الكتاب المطلق.

قال الزركشي: «ومن ذلك حذف الألف في ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ تنبيهاً على علوه في أول رتبة الأسماء وانفراده، وأنه عنه انقضت الأسماء، فهو بكليّتها يدل عليه إضافته إلى اسم الله الذي هو جامع الأسماء كلها، ولهذا لم يتسَمَّ به غير الله، بخلاف غيره من الأسماء فلهذا أظهرت الألف معها تنبيهاً على ظهور التسمية في الوجود وحذفت الألف التي قبل الهاء من اسم الله وأظهرت التي مع اللام من أوله، دلالة على أنه الظاهر من جهة التعريف والبيان، الباطن من جهة الإدراك والعيان»[(١)].

ونقل الزركشي عن أبي عمرو الداني شيئاً من أسباب الحذف فقال: «قال أبو عمرو الداني: اتفقوا على حذف الألف من الأسماء الأعجمية مثل ﴿إِبْرَٰهِيمَ وإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ و هَٰرُونَ و لُقْمَٰنَ﴾وشبهها لأنها زائدة لمعنى غير ظاهر في اللسان العربي؛ لأن العجمي بالنسبة إلى العربي باطن خفي لا ظهور

(١) البرهان في علوم القرآن لبدر الدين الزركشي ١/ ٣٩٠.

له فحذفت ألفه، وأما حذفها من ﴿سُلَيۡمَٰنَ﴾وصالح و﴿مَٰلِكَ﴾وليست بأعجمية فلكثرة الاستعمال، فأما ما لم يكثر استعماله من الأعجمية فبالألف كطالوت وجالوت ويأجوج ومأجوج وشبهها» [(١)].

وقال مثل ذلك في كثيرٍ من المواقف، ولكنا اجتزأنا شيئاً مما قاله، ولا نستطيع متابعة كل الأمثلة، فالآيات كثيرة ولكنه هو وأمثاله من أكرم العلماء الذين تناولوا هذه الظاهرة الكريمة بجد لا مثيل له وعمق نادر الوقوع.

وأنهي حذف الألف بهذا المثل الذي نتداوله دائماً، ولكن لا يفطن إلى مغزاه إلا قليل، قال الزركشي «قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ سورة المائدة ٧٣، حذفت الألف من (إله) وثبتت في واحد، لأنه إله في ملكوته، تعالى عن أن تعرف صفته بالإدراك وحده، واحد في ملكه، تنزه بوحدة أسمائه عن الاعتضاد والاشتراك، هذا من جهة إدراكنا، وأما من جهة ما هي عليه الصفة في نفسها فلا يدرك ذلك بل يسلم علمه إلى الله تعالى، فتحذف» [(٢)].

---

(١)البرهان في علوم القرآن لبدر الدين الزركشي ١/ ٣٩١- ٣٩٢.

(٢) البرهان للزركشي ١/ ٣٩٥.

٥- حذف الواو:

رأى الزركشي أن أول قصد لحذف الواو هو التخفيف في القراءة، إذاً هذا سبب لغوي، ولكنه لم يترك مجال المعاني بل قصد إليها مخففاً أيضاً.

قال الزركشي: «وقد سقطت الواو من أربعة أفعال تنبيهاً على سرعة وقوع الفعل وسهولته على الفاعل وشدة قبول المنفعل المتأثر به في الوجود أولها: ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ [سورة العلق: ١٨]، فيه سرعة الفعل وإجابة الزبانية وقوة البطش، وهو وعيد عظيم ذكر مبدؤه وحذف آخره، ويدل عليه قوله تعالى ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ [سورة القمر: ٥٠].

وثانيها: ﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ﴾ [سورة الشورى: ٢٤]، حذفت منه الواو علامة على سرعة الحق وقبول الباطل لهذا المحو بسرعة بدليل قوله ﴿إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [سورة الإسراء: ٨١]،......

وثالثها: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ﴾ [سورة الإسراء: ١١]، حذف الواو يدل على أنه سهل عليه ويسارع فيه كما يعمل في الخير، وإتيان الشر إليه من جهة ذاته أقرب إليه من الخير.

ورابعها: ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾ [سورة القمر: ٦]، حذف الواو لسرعة



الدعاء وسرعة الإجابة»[١].

لقد أوجز في (الواو) لأن وقوعها في القرآن الكريم أقل من وقوع الألف، فكانت تعليلاته المعنوية أيضاً أقل من تعليلات الألف.

٦- حذف الياء:

ربما تحذف الياء وتوضع الكسرة بدلاً منها، وذلك مثل فارهبونِ وفاعبدونِ، وهذا الحذف له سببه وله علاقته بالمعاني، ففي قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [سورة القمر آية: ١٦]، ثبتت الياء في الأولى لأنه فعل مشاهد، وأما في قوله تعالى ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: ٧٠]، هذا سؤال بملك المشاهد كخرق السفينة وهو مشاهد أيضاً، وقد ذكر مع السفينة شيئان هما الجدار والغلام وكله مشاهد محسوس. وقتل الغلام، وإقامة الجدار، وكذلك ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، إنه دلالة على الملكوت وإخلاص الباطن، وكذلك الحذف من ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾[٢]، وعدم الحذف في ﴿لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾[٣]، أخرتنِ بدون ياء هو تأخير مؤاخذة، وأما أخرتني إلى أجل قريب تأخير جسمي في

---

(١) البرهان في علوم القرآن/ للزركشي ١/ ٣٩٨.

(٢) الإسراء٦٢

(٣) سورة المنافقون ١٠

الدنيا، ومثل ذلك قول الزركشي عن سيدنا هارون عليه السلام، إذ يقول سبحانه﴿فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي﴾ [طه: ٩٠]، فإنه اتباع محسوس في ترك ما سواه، بدليل قوله تعالى﴿وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي﴾ وهو أمر حسي لأنه لا أمر إلا الحسّي) (١).

وقال الزركشي في الآية الكريمة ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ «خاف موسى عليه السلام أن يكذبوه فيما جاء به، وأن يكون سبب التكذيب بسبب موسى، لأنه يريد أن يفهمهم بالوحي فإنه كان عالي البيان لأنه كليم الرحمن، إذ بلاغته ستفوق أفهامهم، ولن تصل إليه أفهامهم، فيصير إبلاغه العالي عند فهمهم النازل عقدةً عليهم في اللسان، ويحتاج إلى ترجمان، فإن يقعْ بعده تكذيب فيكون من قِبَلِ أنفسهم، وبه تتمُّ الحجة عليهم»(٢).

وقد ضرب الزركشي عشرات الأمثلة في هذا الموضوع أي سبب حذف الياء أو إثبات الياء، فقد ورد قوله تعالى في سورة الصافات في الآية ٥٦: ﴿قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرۡدِينِ﴾ يقصد بهذا الإرداء أي بهذا الهلاك يقصد به الإرداء الأُخروي الملكوتي. ومثل ذلك ﴿لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم:١٤] فهو الوعيد الأخروي أي الملكوتي.

---

(١) البرهان للزركشي ١/ ٣٩٩

(٢) البرهان للزركشي جـ ١/ ٤٠١

وقد وجدتُ هذا العالم الجليل الفذ يتعرض لشروح كثير من الحذف في قوله تعالى «فاتقونِ، فارهبونِ، إلا ليعبدونِ، وما أريد أن يطعمونِ، وفلا تخشوا النّاسَ واخشونِ، وإن يردْنِ، الرحمن،» وغير ذلك كثير.

وأريد لإزالة الاشتباه أن أضرب مثلين، ربما كان هذان المثلان يؤديان إلى الاشتباه، وكان عالمنا الزركشي قد أدرك هذه المواضع، وقدم لنا منافع على أطباق من الذهب أو الفضة، قال الزركشي يقارن بين كلمتين هما: واخشونِ في قوله تعالى﴿فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾[المائدة: ٤٤]، وكلمة واخشوني بالياء في قوله تعالى ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِي﴾[البقرة: ١٥٠] في الآية الأولى حيث ﴿وَٱخْشَوْنِ﴾ بدون ياء تدل على الملكوت الكلي، فهي لجميع الناس، الكلية هنا شيء غير معلوم بالدقة لمن يستمع للرسول ﷺ، أما في سورة البقرة ﴿وَٱخْشَوْنِي﴾ ضمير الجمع يعود على الذين ظلموا من الناس فهم جزء من كل، ظهروا في المِلك بالظلم، فالخشية هنا جزئية فأمر سبحانه أن يخشى من جهة ما ظهر كما يجب أن يخشى من جهة ما ستر.

وميز الزركشي بين نقطتين قد يشتبه بهما بعض الناس، قال الزركشي: «حذفت الياء في قوله تعالى ﴿فَبَشِّرۡ عِبَادِ﴾[الزُّمَر: ١٧] وحذفت من قوله تعالى﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِ﴾[الزُّمَر: ١٠]، لأنه خطاب لرسوله ﷺ على الخصوص، فقد توجه الخطاب إليه، وغاب العباد كلهم عن ذلك، فهم غائبون عن شهود هذا

الخطاب، ولا يعلمونه إلا بوساطة الرسول ﷺ، وهذا بخلاف قوله جَلّ وعلا ﴿يَـٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ﴾ فإن الياء ثبتت لأنه خطاب لهم في الآخرة غير محجوبين عَنْهُ - جعلنا اللهُ منهم- إنه منعم كريم، وثبت حرف النداء (يا) فإنه أفهمهم نداءه الأخروي في موطن الدنيا»[(١)]،... وقال: «وكذلك ﴿يَـٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [الزُّمَر: ٥٣]، ثبت الضمير وهو الياء، وأما حرف النداء (يا) فإنه دعاهم من مقام إسلامهم وامتثالهم إلى مقام الإحسان، وقد سقطت في موطن الدعاء (رب اغفر لي) لعدم احاطة العالمين عن التوجه إلى الله تعالى لغيابنا عن الإدراك وحذف حرف النداء لأنه أقرب إلينا من أنفسنا، وأما ﴿وَقِيلِهِۦ يَـٰرَبِّ﴾ فأثبت حرف نداء لأنه دعا ربه من مرتبة حضوره في مقام الملِك)[(٢)].

٧- حذف النون:

لقد حذفت النون في بعض الكلمات، وكان للعلماء والقراء والباحثين رأي في حذف النون ولاسيما النون الأصلية، فكلمة (كان) النون فيها أصلية ولذلك تجد بعض الكلمات فيها محذوفة النون (يكُ) أو (أكُ) أو (نكُ) لقد حذفت النون، وهنا يجري على ذلك ما جرى على أكثر الكلام العربي الذي

---

(١) البرهان ١/ ٤٠٥.

(٢) البرهان جـ ١/ ٤٠٥.

تدل فيه الزيادة على التكثير والتكاثر، ويدل فيه النقص على التقليل والتقالّ، حوالي خمس آيات كريمة، وهي في قوله عز وجل ﴿فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ﴾ [غافر: ٨٥]، و﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفۡهَا﴾ [النساء: ٤٠]، و﴿قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم﴾ [غافر:٥٠] و﴿أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةً﴾ [القيامة: ٣٧]، و﴿إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٍ مِّنۡ خَرۡدَلٍ﴾ [لقمان: ١٦].

إذاً ورودها قليل، وأما المعنى فظاهر يتجه إلى التقليل، ففي سورة القيامة في الآية ﴿أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةً﴾ حذفت النون للتقليل، هنا في الآية الكريمة يوجد تنبيه على مهانة مبتدأ الإنسان وصغر قدره، ثم يترقى إلى العلقة والمضغة المخلقة وغير المخلقة والعظام واللحم والروح والطفل الضعيف الذي يحتاج إلى رعاية تامة من الحر والقرّ والجوع والعطش و.. و.. ثم يقوى، ثم إذا هو خصيم مبين.

أما في قوله تعالى ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفۡهَا﴾ [النساء: ٤٠]، فقد حذفت النون تنبيهاً على أنها شيء قليل المقدار، صغير في الاعتبار، وليعلم الإنسان أن القليل سوف يكثره الله بمنّه وفضله.

وفي قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم﴾ [غافر: ٥٠]، فقد بدأ سبحانه يعرفهم أنهم كانوا في مجتمعاتهم ضالين مستهترين لاهين، ثم رأوا وسمعوا وشاهدوا أناساً يأتون عليهم، فهذا بيان يدل على أقرب شيء، بحيث

لا تحتاج إلى جهد أو تفكير أو بحث، رسول أتٍ إليك في مقامك القريب ليحدثك ويعرفك ويصرفك عن الكفر للإيمان، فهو تعريف بالحس، والسماع والنظر، ثم يجعلك ترى أن هذا الأمر يستحق التقدير فتفكر، ثم تتذكر أنك لستَ أبدياً في هذه الحياة فتؤمن أو يأخذك الغرور والعزة بالإثم فتعرض، لقد بدأ الأمر بشيءٍ بسيط جداً وهو مجيء رسول إليك ليعطيك الرقي من أقل درجة أنت فيها الآن، واعلم أن الجهالة عامة على الجميع، سواء أكان هذا غنياً ظاهر الغِنى أو كان فقيراً مدقعاً أو متوسط الحال، فإن الجهالة تشمل الجميع، والعلم بالرسل والإيمان بالله والنظر إلى الدار الآخرة الدائمة هي العِلم والنجاة والخلاص والترقي، إنها اليقين، إنها الخير كله.

إن الحذف في الفعل يكون ينطبق عليه النقص في المعنى كما في أية كلمة أخرى.

٨- كتابة الألف واواً

﴿ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾

إنك أيها الأخ القارئ تلاحظ في كتاب الله هذه الكلمات: الصلاة والحياة والربا كتبت بالألف العادية أي بألف الإمالة، ولا بألف قصيرة ولا بالألف المقصورة، إنك تجدها كما كُتبت هنا، ولكنك تجدها أحياناً أخرى قد

كتبت بالواو ولكن تعلوها ألف قصيرة، فتجد الصلاة بوجهين هما: ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ والصلاة، والربا ﴿وَٱلرِّبَوٰاْ﴾، والحياة ﴿وَٱلْحَيَوٰةِ﴾، فما السر في ذلك، وما المعنى الذي يطرأ عن تغيّر هذه الكتابة؟

هنالك ثماني كلمات يلحق بها الكتابتان المختلفتان وهي: ﴿ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْحَيَوٰةِ وَٱلرِّبَوٰاْ وبِٱلْغَدَوٰةِ وكَمِشْكَوٰةٍ وَٱلنَّجَوٰةِ وَمَنَوٰةَ﴾ ما القصد من ذلك؟.

إنّ القصد من ذلك تعظيم هذه الكلمات لأنها تدل على أشياء عظيمةٍ فإن الصلاة والزكاة عمودا الدين، ولا شك أنك قرأتَ أحاديث كثيرة تدل على أن الصلاة والزكاة ركنان من أركان الإسلام الخمسة، وأن إقامة الصلاة على وقتها من أهم واجبات الإسلام، وأن الزكاة تكررت في القرآن الكريم عشرات المرات ففيها قوة المجتمع وفيها قوة الفرد، وأما (الحياة) فهي مفتاح البقاء، وترك الربا قاعدة من قواعد التَّقْوى وصيانة المجتمع، قال سبحانه ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾[1]، وتوعد سبحانه جل في علاه المرابين ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[2] لأن اجتنابه أصل من أصول التصرفات المالية، وأما كتابة ﴿ٱلنَّجَوٰةِ﴾ بالواو فلأنها هدف كبير من أهداف الطاعات ومفتاح السعادات، والوصول إلى يوم الحساب ولمن هو راجٍ النجاة،

(١+٢) سورة البقرة ٢٧٨-٢٧٩.

قال سبحانه ﴿وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ .

وتجد عللاً للكلمات الأخرى، ألا ترى أن ﴿بِٱلۡغُدُوٰةِ﴾ قاعدة الزمن، وهي مشتقة من الغدوّ أي العمل في الوقت المبكر، وليس بعيداً عن هذا ﴿كَمِشۡكَوٰةٖ﴾ التي تشير إلى قاعدة الهداية والرشاد والاستقامة قال سبحانه في [سورة النور أية: ٣٥]، ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ﴾ وعكسها ﴿وَمَنَوٰةَ﴾ التي تشير إلى قاعدة الشرك والضلالة، وقد جاء في سورة النجم ما يدل على سوء المعتقد بهذا الوثن الكبير، والوثنين الكبيرين من قبله وهما اللات والعزى، قال سبحانه ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٠] ذكر هذا الوثن في صيغة تكثير الأوثان وما كان لها من أثر سيّئ في أخلاق المجتمع وعقائده وعباداته وفساده.

٩- التاء المفتوحة والمربوطة

(نِعْمةَ الله) (نِعْمَت الله)

كلمات فيها تاء مربوطة وهذا شيء مألوف ولكن أن تأتي نفس الكلمات بتاء مفتوحة فهذا شيء غير مألوف، ويجب أن تبحث له عن مسوغ لأن الذين كتبوا المصحف كانوا من أنضج الناس وأوعاهم، وقرءوا بين يدي

الرسول بالتاء المربوطة والمفتوحة فما خالف نطقهم ما أملاه الرسول أمر بإصلاحه حالاً، فكلمة (نعمةَ) في سورة إبراهيم قرئت بالتاء المفتوحة أي لا تقبل قراءة الهاء، ولكنها في سورة النحل كتبت بالتاء المربوطة فهي تقبل نطقها بالهاء.

لماذا تكتب التاء في كلمةٍ واحدةٍ على وجهين؟

عرفنا أن نطق رسول الله ﷺ كان على وجهين، وأن المسلمين تطوعوا بالكتابة وحفظوا ما كتبوا في بيوتهم بلفظ الرسول ﷺ وبلهجات سبع، وقام زيد وصحبه بتلك المهمة الصعبة، وكان مما قاله في وصفها: أن الجبل كان أهون عليه من تلك المهمة الشاقة، ولكن ذلك لا يدفع سؤالنا، وهو لماذا كتبت بعض الأحرف في كلمة واحدة على صورتين، فكلمة (نعمة) كتبت بتاء مربوطة وكلمة (نعمة) ذاتها كتبت بتاء مفتوحة.

لقد كان هناك جواب لغوي، قيل: إن كان حرف التاء وقع في كلمةٍ مضافة مثل (نعمة الله) فإنها في كتاب الله كتبت بتاء مفتوحة، لأن الكُتاب تقيدوا بالنطق ولم يحيدوا عن ذلك، وكان هذا هو الأعم والأغلب، ولكنه ليس هو الإجابة الشاملة إذ وجدنا هذا الحرف التاء مكتوباً بالمربوطة والمفتوحة أو كما قيل بالمغلقة والممدودة في كلمة واحدة ومضافة، فما التفسير إذاً؟!

الجواب هو معنوي وموضوعي، وقد وجد له علة عدة مؤلفين، ولكني آخذ فيما يلي برأي الزركشي، قال: «إنّ هذه الأسماء لها اعتباران أولهما: أن

يكون ظاهراً في الوجود فهذا تمد فيه التاء، كما تمد في قالت لأن وجهة الفعل مِلكية ظاهرة، وأما ما تعلق بالملكوتية الباطنة فهي تاء مقبوضة»[(١)] .

والآن نطبق هذا الفكر على كلمة (نعمة) الواردة في قوله تعالى :﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾[(٢)] ،﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾[(٣)] فانظر إلى الآية التي فيها (نِعمت) بفتح التاء، فإنك تجد أنها تشير إلى ناس ينكرون النعمة، قال سبحانه وتعالى ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، فقد مارس الكافرون العلاقة بالنعمة، ولم تؤثر فيهم، لقد ظهرت سيئاتهم واتصلت بالوجود بالفعل، ولذلك تمد التاء.

وأما الآية الثانية التي وردت فيها كلمة النعمة بتاء مقيدة أو ما يصطلح عليه بتاءٍ مربوطة فقد جاء بعدها قوله تعالى﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٨﴾ [النحل: ١٨]، فهذه الآية ختمت باسم الرب جل جلاله، فهي ملكوتية، وقد ذكرت باسم مصدرها، أما التي فتحت فيها التاء فقد ذكرت باسم الإنسان بعد أن مارسها فشابه الاسمُ الفعلَ، فالتاء المفتوحة ملازمة للفعل مثل: إذا الأرض مدتْ ومثل: ألقت ما فيها وتخلّتْ.. و... و... و.... .

---

(١) البرهان للزركشي ج١/ ص٤١١.

(٢) سورة إبراهيم أية ٣٤.

(٣) سورة النحل ١٨.

رسم المصحف بالخط القديم والجديد

سبقت الإشارة بتلميحات محدودة إلى الخطين القديم والجديد في كتابة المصحف، لقد أجاز بعضهم الكتابة بالخط الحديث لأنه أيسر على فهم الحاضرين الآن، وحرم بعضهم الخروج عن الخط القديم لأنه يحمل أسرار الكتابة وفق نطق النبي ﷺ ووفق أسرار معانيه، وتوسط آخرون، وسوف نذكر مجموعة من العلماء الذين قالوا بذلك، إن ما ذكر من قبل ومضات صغيرة وقليلة ولكن الآن نذكر الآراء المقترنة بأسماء العلماء ولفظهم ومنطقهم، والحجج والدلائل التي استندوا إليها.

علماء مع الخط الحديث

١ - الباقلاني:

إنه يرفض دعوى القائلين بأنه يجب على الناس التقيد بالرسم العثماني لأنه فيما يرى لا يجد لديهم دليلاً على هذا التقيد، فالصحابة رضوان الله عليهم كتبوا بما يعرفونه من الخط وألفوه في حياتهم، ولماذا يزعم بعض المتعلقين بالرسم العثماني أن مخالفة الخط العثماني خطأ، إنه لا يوجد لديهم دليل على التقيد بالخط العثماني، إنها مسألة للعصور وما يتعلق بها، قال الباقلاني «وبالجملة فكل من ادعى أنه على الناس رسم مخصوص وجب عليه

أن يقيم الحجة على دعواه وأنّى له ذلك، والتوقيف ليس في نصوص الكتاب ولا مفهومه، أنّ رسم القرآن وضبطه لا يجوز إلا على وجه مخصوص وحدٍّ محدود لا يجوز تجاوزه، وليس في نص السنة ما يوجب ذلك ولا في إجماع الأمة»[1] وقد أخذ برأيه في العصر الحديث الدكتور صبحي الصالح إذ قال معززاً لرأي الباقلاني «إن رأي القاضي أبي بكر الباقلاني لجدير أن يؤخذ به وحجته ظاهرة، فهو لم يخلط بين عاطفة الإجلال للسلف وبين التماس البرهان على قضية دينية تتعلق برسم كتاب الله، أما الذين ذهبوا إلى الرسم العثماني بأنه توقيفي أزليّ فقد احتكموا في ذلك إلى عواطفهم» [2].

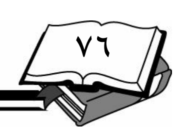
٢ - ابن خلدون:

رفض الرسم العثماني ودعا إلى الأخذ بالرسم الحديث، لا يريد أن تكتب كلمة الكتاب من دون ألف (الكتب)، ورفض أن تكتب الصلاة بالواو ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾، وأعرض عن التأويلات التي قال بها بعض العلماء، إنه يريد زيادة حرف الألف عندما يقتضي الأمر، ذلك وحذفها إذا اقتضى الأمر الحذف، ولا يرغب فيما اصطلحوا عليه بأنه ترقيق أو تفخيم، وقال يعبر عن رغبته الشديدة للأخذ بالخط الحديث: «كان الخط لأول الإسلام غير بالغ إلى

---

(١) مناهل العرفان للزرقاني ص ٣٨٠.

(٢) في علوم القرآن/ د. صبحي الصالح.



الغاية من الإحكام والإتقـان والإجـادة ولا إلى التوسـط، لمكـان العـرب مـن البدواة والتوحش وبعـدهم عـن الصـنائع، لقـد رسمـه الصـحابة بخطـوطهم وكانت غير مستحكمة في الإجادة فخـالف الكـثير مـن رسـومهم مـا اقتضـته صناعة الخط عن أهلها»[1].

وقال معقباً على تأويلات شيوخ القراءة وعلوم القرآن أو من كان له باع في هذه الموضوعات وأمثالها، قـال إنهـم يؤولـون ويبتعـدون بتـأويلاتهم عـن المنطق الذي تسيغه النفوس، قال ابن خلدون: «يقولون في مثـل زيـادة الألـف في (لأأذبحنّه) أنه تنبيه على أن الذبح لم يقع، وفي زيادة الياء في (بأييد) إنه تنبيه على القدرة الربانية ويقولون ويقولون.... وليس ذلك بصحيح» [2].

إنه يؤيد بجسم وعزم الكتابة بالخط الحـديث ويـرى «أن تطـور الحـروف وإعطاءها صفات ومعاني غير التي لها في الأصل غير صحيح»[2] .

٣ - **الدكتور إسماعيل الطحان:**

رأى أن الرسم ليس توقيفياً، وضـرب مـثلاً لـذلك بمـا جـرى بـين زيـد وسعيد بن العاص من خلاف في كلمة التابوت قال الطحان «فلو كان توقيفيـاً لما كان هذا الاختلاف ولم يكن لهذا النص محل»[3]، ولذلك تكون الكتابة وفقاً

---

(١) المبتدأ والخبر لابن خلدون ١/ ٧٥٧.

(٢) المبتدأ والخبر لابن خلدون ١/ ٧٥٧.

(٣) من قضايا القرآن / للدكتور إسماعيل الطحان/ ص

لما يتعامل به الناس.

٤ - الدكتور صبحي الصالح:

كان هذا الدكتور الشيخ أستاذاً في جامعة بيروت العربية في لبنان وقد وردت أراء كثيرة له بأسلوب سهل مميز في كتابه (علوم القرآن). وقد مال الشيخ إلى الأخذ بالاصطلاح والتواضع، متأثراً بعالم البلاغة المشهور الباقلاني قال: «إن رأي القاضي أبي بكر الباقلاني لجدير أن يؤخذ به، وحجته ظاهرة، فهو لم يخلط بين عاطفة الإجلال للسلف وبين التماس البرهان على قضية دينية تتعلق برسم كتاب الله، أما الذين ذهبوا إلى أن الرسم القرآني أزلي فقد احتكموا في ذلك إلى عواطفهم»[١]، فهو يميل إلى الخط الحديث.

---

(١) علوم القرآن / د. صبحي الصالح / ص.

علماء مع الرسم التوقيفيّ.

كيف قرأ زيد بن ثابت؟ كيف قرأ سعيد بن العاص؟ كيف قرأ الاثنا عشر رجلاً الذين اختارهم عثمان أولاً؟ كيف قرأ كبار الصحابة الذين عاصروا زيداً وأصحاب زيد؟ كيف قرأ أي صحابي في زمن رسول الله ﷺ أو بعد رسول الله ﷺ؟

كيف قرأ هؤلاء جميعاً، ثم كيف انتقلت القراءة الأشيع إلى زيد بن ثابت والكتبة من صحبه؟ الجواب: يجب أن نتمسك بقراءتهم، كانوا على دراية تامة وسمع تام ومعرفة تامة فيجب أن لا نظن بأنفسنا التفوق عليهم، لا يجوز ذلك أبداً، إن النجوم الأولى من أصحاب رسول الله ﷺ دققوا في كل حرف وحفظوا كل نطق، فليس التعالي عليهم إلا غروراً، فليس من سبيل لأن يخدعنا الغرور، هكذا جاءت الكِتبة الأولى، ولها علماؤها الأجلاء، وهذه آراؤهم كما وردت في كتبهم أو كتب من نقلوا عنهم:-

١. **الإمام مالك:** إنه مؤيد قوي للكتابة بالتراث، إنه لا يأذن لنفسه بتغيير شيء أو بمخالفة شيء من كتابة المصحف العثماني.

٢. **الإمام أحمد بن حنبل:** حَرّم مخالفة مصحف عثمان في واو أو ألف أو غير ذلك، قال السيوطي: «إن الإمام أحمد يحرم مخالفة خط مصحف عثمان في واو أو ألفٍ أو غير ذلك» (١).

٣. **الشيخ البيهقي:** قال كلاماً أشد من صاحبيه مالك وابن حنبل، قال: «من يكتب مصحفاً ينبغ أن يحافظ على الهجاء الذي كتبوا به ولا يخالفهم في شيءٍ ولا يغير مما كتبوه شيئاً، فإنهم كانوا أكثر علماً وأصدق قلباً ولساناً وأعظم أمانة منا، فلا ينبغي أن نظنّ بأنفسنا استدراكاً عليهم» (٢).

٤. **الإمام الداني:** كان أشد العلماء تعلقاً بعلوم القرآن، ومنها كتابة المصحف العثماني والقراءات المتعلقة به، رأى أبو عمرو الداني أنَّ كل ما هو واقع بين دفتيْ المصحف إنما هو كلام الله تعالى ووحيه المُنزَّل على نبيه، قال: «ولذلك من أخّر مكانه أو زاد عليه مما لم يشتمل عليه المصحف الذي وقع عليه الإجماع، وأجمع على أنه ليس من القرآن عائداً لكل هذا أنه كافر» (٣).

---

(١) الإتقان للسيوطي/ ١/ ٢١٣.
(٢) الإتقان للسيوطي/ ص٢١٣ .
(٣) كتاب (المقنع لأبي عمرو الداني ص٩).

وليس بعد هذا الحسم القوي الشديد من شرح أو تفسير.

٥. **الزرقاني:** قال الزرقاني في كتابه «مناهل العرفان»: «وأقرَّ أصحاب النبي ﷺ عَمَلَ أبي بكر وعثمان وعليّ، وانتهى الأمر بعد ذلك إلى التابعين وتابعي التابعين، فلم يخالف أحد منهم هذا الرسم، ولم يُنْقَلْ عن أحدٍ منهم فكّر أن يستبدلَ به رسماً آخر، من العهود التي ازدهر بها عهد التأليف وازدهاره، ونشاط التدوين، وتقدم العلوم، بل بقي الرسم العثماني معظماً ومتبعاً ومحترماً عند المسلمين جميعاً في كتابة المصاحف(وفق مصحف عثمان بن عفانِ) لا يُمسُ استقلاله ولا يباح حماه» [1].

إذاً لا لوم ولا تثريب على من كتب بالخط الحديث أو الخط القديم كلاهما جائز، فقد قارن علماء التراث بين الكتابة بالخط القديم والكتابة بالخط الحديث، أيهما أسهل في القراءة؟ وأيهما أضمن لحفظ المعنى كله أو أكثره؟ فرأوا أنَّ الأحكام الشرعية تأخذ بالأحوط، ولذلك قالوا إن القراءة الحديثة جائزة لمن صعب عليهم الخط القديم، وأما من تمكن من العلم ودرس القراءة القديمة واستطاع أن يمَثلها ما أمكن كانت القراءة القديمة أَوْلى.

---

(١) مناهل العرفان للزرقاني ص٣٨٠.

هل الخط العربي صعب؟

هل الخط العربي صعب؟ فَلْنسأل المعلمين الذين علموا أربعين أو خمسين سنة عن صعوبة اللغة عند ممارستهم تعليمها للطلاب الصغار، قولوا لهم: لو أخذنا عيّنة من الطلاب كما يفعل التربويون، وكانت عينة عشوائية بعمر السادسة أو حول ذلك، للبحث في صعوبتها وطلبنا إلى المعلمين تحديد المدة التي يستطيع فيها هؤلاء الطلبة الإحاطة بالحرف العربي والمقطع العربي والكلمة العربية ثم الجملة، فما المدة؟ وتساءلوا أيها المربون في أوروبا فاسألوا هربرت سبنسر ومنتسورى وفرويد وفروبل وجشتالت واسألوا التربويين والمدرسين وغير هؤلاء عن نفس التجربة في بلادهم وعن مدة الإحاطة وانظروا ماذا يجيبون؟

وقبل أن أسأل أو أتساءل فإني شاركتُ هؤلاء الأساتذة في تعليم هذه الفئة العمرية في أقطار وبلدان متعددة في جنين وفي قلقيلية وفي الكويت والعراق، وقد وجدنا أن السنتين طويلتان بالنسبة للأذكياء وكافيتان بالنسبة للمتوسطين وأما قليلو التحصيل أو الذكاء أو القدرة فيحتاجون إلى سنة ثالثة، والسنة دراسية وليست السنة ذات الاثنى عشر شهراً، فسنة التدريس لا تتجاوز ستة أشهر، ولا يتجاوز اليوم نصف النهار، وتكون اللغة العربية مادة

من مواد التعليم، فهي إلى جانب الحساب والدين والعلوم، وكل منها له نصيب من زمن النهار.

أما التجربة في أوروبا وأمريكا والصين والهند و... و... و...، فإنها مختلفة جداً، فإن الطالب لا يستطيع أن يكتب الكلمة ذات المد بالياء أو بالألف أو الواو إلا إذا وضعت الكلمة في جملة ليعرف أي شيءٍ تعني، فإن كلمة مثل (see) لا يستطيع كتابتها إلا إذا وضعت في جملة، فكلمة (see) تطابق في اللفظ كلمة (sea) بمعنى البحر، وتطابق الحرف (c) منفرداً، وتطابق كلمة (cei) كجزء من كلمة أخرى؛ إن حروف المد في لغاتهم مشكلة كبرى، إنهم يحتاجون إلى مرحلة الجامعة ليتقنوا الكتابة، أستغفر الله إنهم لن يتقنوها أبداً ولكن ليصبحوا في مستوى من يستطيع أن يقول أنا اقتربتُ من الإحاطة بها.

إن طالب اللغة العربية لا يحتاج إلى المعاني من أجل إتقان الكتابة، إنه يحتاج أن يسمعها فقط ممن يملي تلك الكلمة، أو العبارة أو الجملة، يجب أن يلفظ لفظاً صحيحاً ويمد مداً صحيحاً، وقد حاولت في تجربتي إعطاء كلمات لا يعرفها كثير من خلق الله وإن كانوا أدباء لأن معانيها غريبة، فتحتُ معجم لسان العرب، واخترتُ الكلمات التالية وهي: أمارَ، البَرَش، مَعِصَ، رماحس، بساس، وهي كلمات غير متداولة ويصعب فهمها لدى أكثرية اللغويين والنحويين، فغموضها على الأطفال إذاً أشد وأصعب: لكنها ميسرة في الكتابة، حرفها معروف ومقطعها الممدود معروف، فيسمع الطالب الصغير

الحرف والمقطع والكلمة، ويحرك قلمه خطوة خطوةً، ويرى الأستاذ ثمرته وعلمه يتحققان أمامه منذ السنة الأولى والسنة الثانية.

دع عنك لغة العرب وانظر للغة الإنجليزية، إنها لغة عامة منتشرة في جميع أرجاء الأرض، إنها اللغة الأم للولايات المتحدة الأمريكية وللملكة المتحدة، ولأستراليا وكندا، وتُنافس اللغة الأم في الهند والباكستان وهي لغة لاتينية في الأصل، ولذلك ينطبق عليها ما ينطبق على اللغات التي تأسست على اللاتينية أي اشتقت منها، فماذا ترى؟

كل كلمة من هذه اللغات يجب أن تحفظ حرفاً حرفاً، فلا يستطيع طالب الجامعة الإنكليزي أو الأمريكي أو الأسترالي أو الكندي أو من مثلهم من الأمم التي تقع الإنجليزية فيها موقع المنافس للغة الأم، لا يستطيع الطالب أن يكتب كلمة جديدة فيها مد بالياء أو مد بالواو أو مَدٌّ بالألف، إلا إذا حفظ نوع المد، ثم عليه أن يعلم إن سمع حرف الكاف أن يعلم هل هو: k، أو c، أو ch أو ck.

انظر إلى هذا العنوان وهو (طريقة التحليل)، إنها باللغة الإنجليزية (سَيْاكوناليسز) وهذه الكلمة في الإنجليزية (psychoanalysis)، جاء حرف (p) في أولها كحرفٍ زائد ولكنه مع الأسف لا يلفظ، ولفظوا المقطع (ch) بحرف واحد هو (k)، ولكنَّ المقطع متعدد المواضع لفظاً فهو يلفظ في كلمة

(كرسي) أي chair بالشين العربيـة المفخمـة، وفي لفظـه بعـض الاخـتلاف في كلمات مثل such، ووقع في هـذه الكلمـة حـرف الـواي (y) مـرتين، في أول الكلمة وفي آخرها، لفظت الأولى بالتفخيم، ولفظت الثانية بالترقيق! وفي غـير هذا الموضع فإن المقطع (gh) مرة يكتب كله ولا يلفـظ كلـه، ومـرة يلفـظ (f) ولعلك عندما تقرأ الكلمات الآتية تعذر من يـتعلم هـذه اللغـة علـى صـبره في كتابتها: meat, bread, break, dean, sea, dear المقطع في الكلمات كلها هـو هو، ولكن اللفظ مختلف جداً ولعلك تعذر المتعلمين إذ يقولون عندما يسمعون الكلمة ويطلبون إليك تهجئتها لكي يستطيعوا كتابتها يقولون: spell it.

وأريد أن ألهو مع القارئ بعض اللهو لأخرجه من جو المقارنة إلى فكاهـة مؤنسة ومسلية، وتتلخص فيما يلي: رغبت في عصر الشـباب أن أدرس اللغـة الإنكليزية، فانتسبت للمعهد البريطاني في الكويت، وشرح الأستاذ الإنكليزي (كتلي) هذه المقاطع ولفظها وأدرك أنّ فيهـا شـيئاً مـن الصـعوبة، فقـال: كنـا يداعب بعضنا بعضاً باختراع كلمات تتقبل حروفها ومقاطعها أشـكالاً مختلفـة من اللفظ، وقد اخترع مدرسنا (كتلي) الكلمة الآتية المشكلة على من يستمع، وهي كلمة (ghoti)، وأعلن الطلاب ما اسـتطاعوا أن يعرفـوه وهـو يـرفض، فقلت له هذه الكلمة تُلفظ (غوته) وهو عالم ألماني متخصص في اللغـة، فقـال (كتلي): لا، وغوته هـو تخصصـي (he is my specialist) إذاً كيـف تلفـظ؟ وأخيراً تكرم بالإجابة وقال تلفظ fish فضحكنا جميعاً، وقال الأستاذ (كتلي):

تلك هي اللغـة الإنكليزيـة فـالمقطع (gh) يمكـن لفظـه (f) وحـرف (o) يميلـه الإنجليز إلى (e) وربما في بعض اللهجات يلفـظ (i) كمـا في كلمـة (woman)، ومقطع (ti) يلفظ (sh).

لا تقارن اللغة العربية بهذا المذهب أبداً، إن سماعك يحدد لـك في اللغـة العربية أسلوب الكتابة.



الإملاء المثالي

إذا نظرت إلى الإملاء وأساليبه وفنونه، أو نظرت إلى رسوم لغتنا العربية فإنك تجد حتماً أنّ نظرات التراثيين أو نظرات الاصطلاحيين لها هدف واحد هو الإملاء المثالي. أي ذلك الإملاء الذي يوصل الكلمة ذات المعنى المحدد إلى القارئ أو الدارس، إن كلا الفريقين يحرص على قداسة كلمات الله، فالتراثي يريد نفس اللفظ الذي قاله الرسول ﷺ ونفس الكَتَبْة التي أخذ بها الصحابة، وأما الاصطلاحي فهو خائف من تطورات الإملاء وتطورات الرسم التي جاءت بعد عهد زيد بن ثابت وصحبه من كتاب المصحف العثماني، فاقترحوا أن يكتب القرآن بالخط الحديث، لأن القراء والدارسين والمسلمين والمتعلمين للغة والإسلام لا يتقنون قراءة ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ وما شابهها بالتفخيم الذي يرافقها، ولا يستطيعون قراءة كلمة (الطعام) مرة بالمد ومرة دون مد (الطعم)، ويجهلون لفظ كلمة (أفإين)، ولذلك سيبتعدون كثيراً عن اللفظ الأصلي، فالأولى أن يقرءوا بالكَتَبْة الحديثة، فإنها تظل ضمن محيط الكلمة، وتظل ضمن معناها المقصود.

وأما في عهد سيطرة الاستعماريين بعد العهد العثماني أي سيطرة الإنكليز والفرنسيين ثم الأمريكيين والسوفييت على أصقاع عربية وإسلامية. فقد تغيرت نظرة الإملائيين الاصطلاحيين، حيث أصبح الهدف التعامل مع اللغة ذاتها كشيء وضعي له قواعد ويمكن أن نطور القواعد وفقاً لما نراه أو

نصطلح عليه، أي كيف نكتب الحروف بأشكالها المختلفة فإنها في أول الكلمة غيرها في وسط الكلمة أو آخرها، وكذلك العين، ولذلك جاء منظرون للغة يشبهون المنظرين للغات الأجنبية، إن ما يصنعونه لا يرتبط بالقرآن الكريم إنما هو عمل إملائي لغوي بحت شأنه شأن أي لغة في الأرض وتستطيع أن ترى فلسفة الدكتور حسن شحاتة، وفلسفة الدكتور صلاح مجاور وفلسفة الأستاذ عبد العليم إبراهيم، إنهم ونحن معهم ونجري في إثرهم نضع القواعد وليس في ذهننا أسلوب نطقها أيام النبي ﷺ، ولا في ذهننا كيف تعب زيد بن ثابت وصحبه ليوصلوا إلينا القراءة كما سمعوها من النبي ﷺ، فالنظرات إذاً ثلاث، ما هي هذه الثلاث؟.

١- نظرة متقيدة بالرسم العثماني، وهي نظرة مثالية لأنها تكتب مئة بالمئة كما تنطق، ولأن هدفها الحفاظ على تلاوة النبي ﷺ، ولا يوجد كتابة مثالية كهذه الكتابة لأنه يتساوى فيها المنطوق مع المكتوب- أستغفر الله جل وعلا- بل يتساوى فيها ما وضع على الصفحات مع ما نطق به أصحاب رسول الله، وربما كان للقراءة وجهان فتجد الوجهين مكتوبين، وآمل وأرجو ألا نبتعد كثيراً عن هذا الجو أي المعرض المثالي؛ فليس في العالم الآن لغة تحفظ بالرسم ما نطق بالضبط إلا هذه الكتابة القرآنية، إنها مثالية جداً ولكن يصعب على المعاصرين التقيد بها إلا من وهبه الله قدرة عالية، إن أكثر الشعوب العربية والإسلامية لا تستطيعها، إن لها خصوصية لا يقدر عليها أكثرنا.

٢- نظرة الحداثة التي أخذت بتطور الخط في العصور الخوالي بشـرط اقترابهـا كثيراً من النطق القرآني للكلمة حتى تظل الكتابة ذات هدف محدد هو: أنّ الأمة لها دين، وأن الأمة يجب أن تظلّ أمةً واحدةً، وأن الكتابة الحديثـة مـا زالت تجري في نفس محيط الكتابـة العثمانيـة أو الكتابـة الرسـولية بعبـارة أصح وأسلم، لأن العرب راعوا تغير أساليب الكتابة وعـدم قـدرة القـراء والدارسين على نطق الكتابة كما كانت في عهد الرسول ﷺ، ثـم كانـت في عهد عثمان بن عفان نطقاً سليماً كمـا علمنـا الرسـول ﷺ. ولـذلك أبـاح الفقهاء اللفظ بالتعديل الجديد مـع علمهـم أن هـؤلاء المجـددين أو الـذين نشأوا في العصور المتأخرة ما زالوا يحافظون على الهدف؛ إن هـذه الكتابـة التي تضم العنصرين هي المفضلة والمثالية جداً في عصرنا.

٣- نظرة متأثراً بالأسلوب الإنجليزي والفرنسي والألماني والسوفيتي، أن اللغة والكتابة أشياء وضعية ليست مرتبطة إلا بما نضعه الآن من أفكار أو مقالات ثم نكتبه ليؤدي تلك المعاني، وإذا درست ما كتب في الإملاء في عصور الاستعمار فستجد لكل قطر أسلوباً، وقد كنا نعلم الهمزة ونقول هذه مدرسة شامية وهذه مدرسة مصرية وهذه مدرسة بغدادية فتختلف الهمزات باختلاف البلدان، وتختلف الألف الفارقة باختلاف النظر والفهم وليس باختلاف النطق الذي ألفناه في الكتابة العثمانية، لقد رأوا في الإملاء الحديث أن يضعوا ألفاً بعد واو الجماعة مثل: قالوا، سألوا، لا تقولوا، لا تسألوا، لم يذهبوا وهكذا، أما في القرآن الكريم فالوضع مختلف، فإن الألف تعتمد على المد في القراءة وليس على نوع الكلمة، فإن اسم

الفاعل يكتب هكذا: مرسلوا إذا جاءت الواو ممدودة كما في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ﴾[الصافات: ٣٦]. وكقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ﴾ [الصافات: ٣٨]، والأفعال الماضية أو المضارعة الدالة على الجمع لا يشترط أن تكتب بألف الجماعة لأن ذلك يعتمد على مد الواو وهي ضمير الفاعل، فقد ثبتت الألف في مئات الأفعال مثل: قالوا، ابنوا، في قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلُوٓاْ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُواْ ٱبْنُواْ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾[الصافات: ٩٤: ٩٨] فقد ذكرت الأفعال الماضية الدالة على الجمع بواو الجماعة ذكرت بتثبيت الألف بعد الواو، وذلك بسبب المد، ولكنها في أفعال ماضية أخرى وتدل على الجمع حذفت الواو كما في﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ﴾[يوسف: ١٦]، وفي قوله تعالى﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ [يوسف: ١٨]، ثم جاءت كلمات أخرى وهي أفعال ماضية وتدل على الجماعة وثبتت الألف فيها بعد الواو في بعض الآيات ولكنها حذفت في آيات أخرى فكلمة (سَعَوْاْ) جاءت بألف في آية أو آيات، وجاءت من دون ألف في آيات أخرى هكذا (سَعَوْ)؛ لماذا كتبت (سَعَوْاْ) بالألف في [سورة الحج: ٥١] ، وكتبت في [سورة سبأ٥١:] بحذف الألف؟

إن الكتابة القرآنية في كل ذلك تعتمد على النطق، فإن جاء المدَّ فاكتب

بالألف وإن جاء القصر فاكتب بلا ألف، ومثل ذلك كثير فكلمة تبارك جاءت في سورة الأعراف بالألف ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ولكنها في سورة الملك في الآية الأولى جاءت بدون ألف ﴿تَبَـٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾، وكل ذلك وفقاً للنطق وللمعنى الذي يأتي به النطق، إن الرسم القرآني جاء صورة للنطق وليس لقانون وضعه بعض الإملائيين.

إن مسألة النطق هي المسألة الحاسمة، ولذلك أمر رسول الله (ﷺ) أصحابه من الكتبة ألا يكتبوا تلك الكلمة بهذا المد بل اكتبوها بقصرها، ولذلك كانوا يمحون ما كتبوا ثم يعيدون كتابة الكلمة أو العبارة وفق نطق رسول الله (ﷺ) ويتلون الآية على مسمعه فيوافق على ما سمع.

أما المعاني التي تؤديها تلك الكتابات فهذه كلمة طعم مثلاً حذف منها الألف واستبدل بها مدة صغيرة فأشارت بذلك إلى طعام الجنة، أشارت إلى شيء سماوي ملكوتي، وإذا كتبت بألف كتبت بألف عادية هكذا (طعام) فإن هذا يعني الطعام العادي في الأرض، الطعام الذي نعرفه ونتداوله، إن الذين استنتجوا ذلك هم علماء الأمة، وقد استنبطوا من الكلمات أو العبارات المخالفة للكتابة العادية معاني ممتازة، وأفكاراً ممتازة، وأفكاراً نادرة، قالوا مثلاً: إن كتابة كلمة (مائة) بالألف تختلف عن كلمة (فئة) مع أن لفظهما واحد والسبب في الاختلاف هو أن كلمة (مائة) تعني زيادة في العدد، فقد جاءت اللفظة (مائة) بعد الآحاد والعشرات، ولكن فئة لم تشر إلى أعداد سابقة.

لقد وحّدت الكتابة العثمانية المسلمين في الأخذ بلغة واحدة أكثرها من لهجة قرشية، ولكنها ذكرت لكل القبائل كلمات كانت قد درجت في القراءة، ولكن ما أُخذ عن القبائل قليل، وما أخذ من لهجة قريش هو الأغلب، لقد طوى عثمان بن عفان صفحة من الخلاف، وقد هداه الله إلى هذا النسخ، وما زالت الأمة الإسلامية تقرأ بهذه الكتبة التي قام بها زيد بن ثابت وأصحاب زيد بن ثابت، رضي الله عنهم أجمعين، قال سبحانه﴿رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وأترحم في آخر الأمر على سيدنا عليّ ابن أبي طالب رضي الله عنه إذ قال: «لا تقولوا في عثمان إلا خيراً، لقد قال: أرى أن يجمع الناس على مصحف واحد فلا تكون فرقة ولا اختلاف»، وهذه وحدة القراءة نجحت على مدى قرون ولله الحمد والفضل.


٩٢

الخاتمة

لقد تحقق لدراسة (طبيعة الإملاء في القرآن) عدة أشياء مهمة وخطيرة، وهي أمور لا يستغني عن أي منها من يدرس كتاب الله، ويسعى لأن تطمئن نفسه لهذا الأسلوب الذي كتب به المصحف، ولأسبابه ودواعيه وهذه أبرز تلك الأمور تحققت:-

١- كان الهدف من جمع المسلمين على رسم واحد يمثل اللهجات المختلفة التي قرأ بها المسلمون الأوائل كان الهدف إزالة الخلاف والتناقض بين القراءات السبع وتوحيد المسلمين في قراءة واحدة هي قراءة قريش على الأغلب، ولكنا نعلم أن القرآن الكريم جعل لجميع اللهجات حظّاً ما في كتابة المصحف، ولكنه حظ قليل بالإضافة لما كان لقريش.

٢- لقد تناول كثير من العلماء طبيعة رسم المصحف، وسجلوا الكلمات أو العبارات التي تميز بها رسم المصحف من الخطوط العادية التي تعارف عليها الناس، وقد علل بعضهم لهذه الفروق الخطية، فقال هذا لإعطاء معنى كذا أو كذا، لكن أبرز من له علاقة بهذا الموضوع ثلاثة هم: أبو عمرو الداني والزركشي وأبو العباس المراكشي، ولكن كتابات الزركشي كانت وافية ووافرة، فقد تعرض لهذه الظاهرة بتفصيل لا تنقصه الأمثلة.

٣- الفروق بين قدرات الناس في القراءة والإحاطة بها جعلت كثيراً من العلماء يحثون على القراءة بالخط العادي المتداول بين الناس حتى لا يقعوا في أخطاء تبعدهم عن المعاني، وقد تبنى هذا السبيل العز بن عبد السلام، ولكنه لا يأذن بمفارقة الخط القرآني برسم عثمان بن عفان، وقد بان في البحث أن اللغة العربية تكاد تكون مثالية في كتابتها إذ إن ما يكتب هو الذي ينطق، ولاسيما كتابة المصحف، فإن المنسوخ لم يبتعد كثيراً أو قليلاً عن نطق النبي(ﷺ)، فإذا مد كلمة الطعام كتبت بالألف، وإذا قصرها كتبت بمدة قصيرة، وإذا كان النطق بوجهين دلت الكتابة على الوجهين.

٤- إن الحفاظ على نطق الكتابة القرآنية كما وصلت إلينا هو غرض عزيز، ونحمد الله جل وعلا أن يسر سبحانه لنا لغة ذات مميزات شريفة ونادرة، ويسر لنا كتاباً حفظناه فحفظنا، وانظر لجميع اللغات القديمة، أين ذهبت؟ لغتنا بقيت برونقها بفضل كتاب الله تعالى.

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي/ دار المعرفة- بيروت لبنان ١٩٧٨.

٣- البرهان في علوم القرآن/ لبدر الدين الزركشي/ دار المعرفة- بيروت لبنان ١٩٧٢م.

٤- جامع البيان عن تأويل آي القرآن/ لمحمد بن جرير الطبري.

٥- رسم المصحف وضبطه/ د. إسماعيل شعبان –دار السلام مكة- ١٩٩٩م.

٦- زبدة التفسير/ د. محمد سليمان الأشقر/ ط١/ وزارة الأوقاف الكويت ١٩٨٥.

٧- في الأدب الجاهلي/ د. طه حسين – دار المعارف – مصر.

٨- كلام على الإملاء/ الشيخ جلال الدين الحنفي/ دار الثورة للصحافة والنشر / بغداد/ ١٩٨٨م.

٩- مباحث في علوم القرآن/ د. صبحي الصالح / دار العلم بيروت/ ١٩٧٩.

١٠- المبتدأ والخبر (مقدمة ابن خلدون) دار الكتاب العربي/ ١٩٥٧م، لبنان.

١١- المقُنع في القراءات/ لأبى عمرو الداني/ مكتبة الكليات الأزهرية/ القاهرة.

١٢- من قضايا القرآن/ للدكتور إسماعيل الطحان / مكتبة الأقصى- قطر ١٩٩٤.

١٣- مناهل العرفان/ محمد عبد العظيم الزرقاني/ دار إحياء الكتب العربية/ ١٩٤٣ القاهرة.

١٤- الميسر المفيد في علم التجويد/ د. عبد الله حيلوز/ مطبعة أنس/ الأردن ٢٠٠٣.



الموضوعات

الرقم	الموضوع	الصفحة
	سبق ومبادرة	٥
	المقدمة	٧
	لماذا شُغلت بهذا البحث	٩
	اللسان العربي وما أدراك ما هو	١١
	كتابة المصحف وبعض الاعتراضات	١٩
	الأمثلة وتعقيباتها	٢٥
	أ- حذف الألف وزيادتها في كلمة واحدة	٢٦
	ب- إضافة الألف في كلمات متنوعة أو حذفها	٢٧
	جـ - إضافة حروف أو تبديلها	٢٩
	تعليقات جائرة على رسم المصحف	٣١
	ملاحظة عابرة	٣٣
	لماذا كتب المصحف بهذه الصورة	٣٥

رسم المصحف – منهجية زيد بن ثابت	٤٠
الكتابة والمعنى	٤٦
اجتهاد العلماء	٥٠
مع كتاب البرهان	٥٢
أفكار البرهان	٥٥
١- زيادة الألف أو حذفها	٥٥
٢- زيادة الواو	٥٨
٣- زيادة الياء	٥٩
٤- حذف الألف	٦٠
٥- حذف الواو	٦٣
٦- حذف الياء	٦٤
٧- حذف النون	٦٧
٨- كتابة الألف واواً	٦٩
٩- التاء المفتوحة والمربوطة	٧١

	رسم المصحف بالخط القديم والجديد	٧٤
١-	الباقلاني	٧٤
٢-	ابن خلدون	٧٥
٣-	د. إسماعيل الطحان	٧٦
٤-	د. صبحي الصالح	٧٧
	علماء مع الرسم التوقيفي	٧٨
١-	الإمام مالك، وابن حنبل والبيهقي والداني والزرقاني	٧٨-٨٠
	هل الخط العربي صَعْب؟	٨١
	الإملاء المثالي	٨٦
	الخاتمة	٩٣
	المصادر والمراجع	٩٥
	الفهرس	٩٧

